افتراءات العهد القديم على أنبياء الله
وموقف الإسلام منها

دكتورة
منال سمير الرافعى
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

مقدمـــــــــــة

الحمد لله المنعم المتفضل، الرءوف الرحيم، سبحانه منّ على عباده فأرسل إليهم المصطفين الأخيار الصادقين الأمناء الأبرار، مؤيدين بالمعجزات، والآيات البينات، ليخرجوا الناس من ظلمات الجهل والظلم والوثنية، إلى نور العلم والعدل والوحدانية، والصلاة والسلام على الأنبياء المكرمين، والرسل المطهرين، الذيـــن حملوا الرسالـــة وأدوا الأمانة، فهدوا الخلق إلى طريق الحق، وأرشـــدوهم إلـــى الطيبات وأمروهم بإتباعها، وإلى الخبائث ونهوهم عن اقترافها، ليحظوا بالسعادة الحقيقية فى الحياتين الدنيوية والأخروية.

وبعد.. فإن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الصفوة المختارة من الله تعالى والتى تميزت عن جميع البشر باصطفاء الله لها لتلقى وحيـــه وتبليـــغ رسالته، فهم هداة البشرية والقدوة الحسنة والمثل الأعلى للإنسانية، هداهـــم اللـــه تعالى واجتباهم وأنعم عليهم بنعمة حمل الأمانة وتبليغها إلى البشر، لذلك اقتضت حكمة الله أن يجعلهم أكمل البشر خلقاً وأفضلهم علماً وأشرفهم نسباً وأعظمهـــم أمانة، كما اقتضت حكمته العلية أن يهبهم صفات تميزهم عن غيرهم فامتـــازوا بصدق الدعوة والأمانة والإخلاص والتوبة ونزهوا عن جميع الرذائـــل وســـائر الأخلاق الذميمة، ولهذا اختصت النبوة بأشرف خلق الله من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأى والعصمة من الزلل والزيغ والكذب والبهتان.

لذلك وجب أن يكونوا متصفين بكل صفات الكمال البشرى والتى تتفق مع جلال وعظمة رسالتهم، فهم منزهون عن كل ما يمس الخلق القويـــم والشـــرف العالي، ومعصومون عن المعاصى والذنوب لأن ذلك مما يتعارض مع مكـــانتهم السامية ويتعارض أيضاً مع الأمر بالإقتداء بهم وإتباعهم.

وعلى الرغم من ذلك نجد اليهود قد استبد بهم الضلال والافتراء على الله

ونسبوا إلى الأنبياء مالايليق بأمثالهم ووصفوهم بكل قبيح ومرذول من الصفات مما يتنافى مع العصمة التى منحها الله تعالى لهم.

فقد جاءت سيرتهم فى أسفار العهد القديم بشكل لا يحفظ للأنبياء وقارهم وعصمتهم، ويتجاوز الحد من النيل من كرامة الأنبياء الأطهار.

هكذا ضاع قدر الأنبياء الحقيقى وحرفت سيرتهم العطرة على أيدى كتاب العهد القديم، حتى جاء القرآن الكريم بلغته الطاهرة النقية فتحدث عن الأنبياء فصورهم فى صورة كريمة، ووضعهم فى الموضع اللائق بعظمة رسالتهم الإلهية، ومسح عن سيرتهم العطرة مالحق بها من أذى وافتراء.

وأمام هذا الذى تنطوى عليه أسفار العهد القديم من افتراءات على أنبياء الله وجدت أنه من الضرورى إظهار وجه الحق بأن نعرض هذه الافتراءات كما جاءت فى كتبهم المقدسة لتكون شهود حضور وإثبات على افتراءاتهم ثم نعرض ذلك كله فى ميزان القرآن الكريم خبر الصدق وقول الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

تعريف بالعهد القديم

يطلق العهد القديم على أسفار اليهود، وهو كتاب اليهود المقدس الذى يؤمنون به، ويزعمون أن الله تعالى أنزله على موسى عليه السلام.

والعهد هو الميثاق، ويراد به الميثاق الذى أخذه الله تعالى على عباده ليلتزموا بما عاهدهم عليه(١).

وينقسم العهد فى الاصطلاح الدينى إلى قسمين: قسم قديم يدعى اليهود أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام ويعرف بالعهد القديم، وقسم جديد يدعى النصارى أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام ويعرف بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمى الكتاب المقدس ويدين به كل من اليهود والنصارى(٢).

ويحتوى العهد القديم على أخبار العالم فى عصوره الأولى وأجياله القديمة وشرائع اليهود الدينية والاجتماعية، وتاريخ نشأتهم وحكوماتهم وحوادثهم وأنبيائهم السابقين منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض والبشارات بالنبيين اللاحقين(٣).

وينقسم العهد القديم إلى أربعة أقسام:-

١ - التوراة.
٢ - الأسفار التاريخية.
٣ - الأسفار الشعرية والأناشيد.
٤ - أسفار الأنبياء.

---

(١) الأسفار المقدسة، د. على عبد الواحد ص١٣.
(٢) إظهار الحق، الشيخ رحمة الله الهندى ص٧٧.
(٣) بحوث فى مقارنة الأديان، د. محمد عبد الله الشرقاوى ص١١٩.

القسم الأول

وهو ما يعرف باسم التوارة أو الشريعة أو الناموس أو كتب موسى.

ويشتمل هذا القسم على خمسة أسفار هى: التكوين- الخروج- اللاويون (الأحبار)- العدد- التثنية، وهذه الأسفار يطلق عليها أسفار موسى، وهى التوراة فى نظر اليهود، ومعناها الشريعة أو التعاليم الدينية.

ونطلق (التوراة) على جميع أقسام العهد القديم من باب إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى أبرز أنبياء بنى إسرائيل وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقى[1].

وهذه الأسفار الخمسة يغلب عليها الطابع التاريخى، فسفر التكوين يتكلم عن قصة خلق العالم ونشأته، ونشأة الإنسان الأول: آدم وحواء، ثم قصة نوح والطوفان، وقصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام وعن دخولهم أرض مصر حتى موت يوسف عليه السلام.

وسفر الخروج يتكلم عن خروج بنى إسرائيل من مصر، وعن قصة موسى مع فرعون ودعوته له إلى توحيد الله، وقصة تلقى موسى الشريعة من ربه، ثم قصة التيه الذى قضوه فى أرض سيناء واستمر أربعين سنة حرم الله عليهم فيها دخول الأرض المقدسة التى كانت مقصدهم وموعدهم من الله تعالى.

كما يشتمل هذا السفر على الوصايا العشر وكثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية الخاصة بـ"يهوه" إله بنى إسرائيل وأيضاً ما حدث من بنى إسرائيل فى غيبة موسى عليه السلام.

وأما سفر اللاويين فهو منسوب إلى (لاوى) أحد أبناء سيدنا يعقوب عليه

(١) اليهودية، د. أحمد شلبى ص٢٣٨.

السلام ومن نسله كان موسى وهارون عليهما السلام ويتضمن هذا السفر كثير من التشريعات والوصايا والأحكام المتعلقة بالعبادة والذبائح والقرابين وطقوس تقديمها، كما يحتوى على كثير من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التى يستحق من اتبعها الثواب ومن خالفها العقاب.

وسفر العدد قد شغل معظمه بإحصاءات لقبائل بنى إسرائيل ورؤوسهم وجيوشهم وأموالهم، وإحصاء ما يمكن إحصاؤه مما يتعلق بهم، وهو سفر خاص بأسباط بنى إسرائيل ويتكلم هذا السفر عن عدد كل سبط من أسباط بنى إسرائيل وتقسيمهم كما يحتوى هذا السفر على طائفة غير يسيرة من شئون المعاملة والعبادة وما يتعلق بها من أحكام.

وسفر التثنية وقد سمى بهذا الاسم لأنه يثنى ويكرر التعاليم والشرائع التى تلقاها موسى عن ربه، ويحتوى هذا السفر على عرض تفصيلى للوصايا العشر، وكذلك حديث مفصل عن الفرائض والأحكام والتعاليم الشرعية، وكذلك نظام القضاة والملك عند بنى إسرائيل، وينتهى هذا السفر بموت موسى عليه السلام والتوصية ليوشع بن نون أن يقود بنى إسرائيل[1].

<u>أما القسم الثانى</u>: من أقسام العهد القديم فيعرف باسم الأسفار التاريخية لأنه يتناول بالتفصيل تاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فى فلسطين وتفصيل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة فى حياتهم وهى أسفار يوشع، والقضاة وراعوث وصمويل الأول وصمويل الثانى والملوك الأول والملوك الثانى وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثانى وعزرا ولحميا واستير.

---

(١) الأسفار المقدسة، د. على عبد الواحد ص١٤، بحوث فى مقارنة الأديان، د. الشرقاوى ص١٢١.

وأما القسم الثالث: فيعرف بأسفار الشعرية أو الأناشيد ويعرف كذلك بالأسفار التعليمية وهى عبارة عن أناشيد ومواعظ معظمها دينى مؤلف تأليفاً شعرياً فى أساليب بليغة وعددها خمسة أسفار. سفر أيوب- مزامير داود- وأمثال سليمان- والجامعة من كلام سليمان ونشيد الأناشيد لسليمان.

وأما القسم الرابع: فيعرف بأسفار الأنبياء ويقع فى سبعة عشر سفرا ويحتوى كل سفر على التعاليم التى نادى بها النبى الذى ينسب إليه السفر كما يعرض كل منها لتاريخ نبى من أنبياء بنى إسرائيل الذين أرسلوا إليهم بعد موسى عليه السلام وهى أسفار أشعياء وأرمياء ومراثى أرمياء وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس ويونس وميخا وناهوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى وعوبديا(١).

وعلى ذلك فجملة أسفار العهد القديم تسع وثلاثون سفراً.

موقف الإسلام من العهد القديم

لايعترف الإسلام بالعهد القديم وما يشتمل عليه من أسفار وإنما يعترف بالتوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه الصلاة والسلام وقد تلقاها موسى فى ألواح قيل أنها (اثنان، وقيل سبعة وقيل عشرة هذا فى كميتها، وقيل فى نوعيتها أنها كانت من زبرجد، وقيل من زمرد، وقيل من ياقوت وقيل من خشب، وقيل من حجر الجبل ليَّنه الله تعالى لموسى، وقيل من حجر جاء به جبريل عليه السلام من عدن)(٢).

قال تعالى [وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل

---

(١) الأسفار المقدسة، د. على عبد الواحد ص١٥،ص١٦.

(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازى جـ٤ ص٢٩٠، روح المعانى فى تفسير القرآن الألوسى جـ٩ ص٥٦.

شئ][١].

وقال تعالى [إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور][٢].

وقال تعالى [وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلاً][٣].

هكذا أوضح لنا القرآن الكريم أن موسى عليه السلام أنزل الله عليه كتاباً هو التوراة وأن فيها هدى ونور أى لهداية بنى إسرائيل إلى طريق الله عز وجل والخروج بهم من ضلال الوثنية التى ألمت بهم إلى سمو التوحيد الخالص والتنزيه المطلق لله عز وجل.

وعلى ذلك فالتوراة كتاب سماوى أوصى به الله تعالى إلى موسى عليه السلام كى يبلغه إلى بنى إسرائيل.

وهذه التوراة قد اشتملت على التعاليم التى أرادها الله تعالى من بنى إسرائيل سواء أكانت متعلقة بالعقيدة أو بالشريعة.

وقد أخبرنا القرآن الكريم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن اليهود قد امتدت أيديهم الآثمة إلى التوراة بالتحريف والتبديل فقال تعالى [أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون][٤].

وقال تعالى [فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله

---

(١) سورة الأعراف -آية ١٤٥.
(٢) سورة المائدة -آية ٤٤.
(٣) سورة الإسراء -آية ٢.
(٤) سورة البقرة -آية ٧٥.

ليشتروا به ثمناً قليلاً](١).

وقال تعالى [قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً](٢).

وبذلك يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى أنزل على اليهود كتاباً وأنَّ اليهود أخفوا منه مالايتفق مع أهوائهم وأغراضهم، وأن النسخة الأصلية والصحيحة ليست بأيديهم الآن.

والدليل على ذلك ما ورد فى الأسفار الخمسة من عبارات تدل على أن التوراة كتبت بعد موت موسى عليه السلام بعدة مئات من السنين، وكاتبوها لم يشاهدوا موسى ولم يسمعوا من تلاميذه بالإضافة إلى ذلك فإن التوراة فقدت عدة مرات كما يعترف بذلك اليهود أنفسهم(٣).

ويمكن القول بأن التوراة الحالية -فى مجموعها- قد كتبت بعد موسى عليه السلام بأزمان متفاوتة، وبأفكار مختلفة وأن اليهود كتبوها انعكاسا لأخلاقهم وتاريخهم وآمالهم وآلامهم، والسبب فى ذلك أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية، لأنها تختلف عما باشروا من طباع وخلق، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة(٤).

ومن هذا المنطلق يتعين الإقرار بأن ما يطلق عليه العهد القديم، وما يسمى بالتوراة فى اصطلاح اليهود الآن ليست من الكتب المقدسة فى نظر الإسلام، وأن النص الأصلى للتوراة توراة موسى عليه السلام لاوجود له، وأن التوراة الحالية اعتمدت فى بنائها على مصادر إنسانية، استفادت من نص قديم للتوراة، فعدّلت

(١) سورة البقرة -آية٧٩.
(٢) سورة الأنعام -آية ٩١.
(٣) بحوث فى مقارنة الأديان، د. الشرقاوى ص١٧٣.
(٤) اليهودية، د. أحمد شلبى ص٢٥٩.

منه وغيرت فيه بالزيادة والنقصان[١].

الأمر الذى أصبح معه من المتعذر بل من المستحيل التوصل إلى تصور أولى للتوراة الأصلية ومفاهيمها الدينية الصحيحة وكذلك أصبح التعرف على الأجزاء الموصى بها أمراً غاية فى الصعوبة، بعد أن ضاعت عبارات وألفاظ الوحى الأصلية فى خضم عمليات التحريف المستمرة التى خضع لها نص التوراة، فكانت النتيجة المنطقية لذلك تسلل الخلل والتناقض فى الهيكل العام لبناء التوراة إلى جانب تعدد واختلاف أساليب التعبير فهيا فضلاً عن اختلاف المفاهيم.

ولعل الهدف الأساسى من تحريف اليهود للتوراة هو إثبات عقائدهم الفاسدة وخاصة عقيدة شعب الله المختار، فقد زعم اليهود أن الله تعالى قد اختارهم وفضلهم من بين خلقه من سائر الشعوب والأمم كى يكونوا عباده المختارين والذين اصطفاهم من بين خلقه وليكون هو إلها خاصاً بهم دون غيرهم حيث تقول التوراة المحرفة فى سفر اللاويين (أنا الرب إلهكم الذى ميزكم عن الشعوب، تكونوا لى قديسين لأنى قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لى)[٢].

وتقول التوراة فى سفر التثنية:

(إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار إلهك لتكون له شعبا أخص عن جميع الشعوب، الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم)[٣].

فكان مقصدهم الأول هو إظهار الشعب الإسرائيلى بمظهر الشعب المقرب إلى الله تعالى والمفضل على غيره من الشعوب والأمم وهذا منهم زعم باطل،

---

(١) علاقة الإسلام باليهودية، د. محمد خليفة حسن ص٨.
(٢) سفر اللاويين، الاصحاح العشرون ٢٤-٢٦.
(٣) سفر التثنية، الاصحاح السابع ٦-٨.

وتمويه وتضليل، قام به من كتب التوراة المحرفة، وهذا هو شـأنهم دائمـاً فـي التضليل، وإلباسهم الحق بالباطل وفي ذلك يقول الله تعالى منددا بهـم، ومشـيراً إلى سوء فعلهم [ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون][1].

وأكبر دليل على التضليل وإلباسهم الحق بالباطل ماجاء في العهد القديم من افتراءات على أنبياء الله عليهم السلام، ووصفهم بكل قبيح ومرذول من الصفات الأمر الذى تتنزه عنه الكتب السماوية الصحيحة.

وسوف نذكر فيما يلي ما نسبته التوراة لبعض الأنبياء عليهم السلام مـن أعمال قبيحة وصفات مرذولة تتنافى مع العصمة التى منحها الله تعالى لهم عليهم السلام.

(١) سورة البقرة- آية ٤٢.

الأنبياء فى العهد القديم وموقف الإسلام منهم

حرص واضعو التوراة على أن ينسبوا لأنبياء الله عليهم السلام أعمالاً قبيحة تتنافى مع العصمة وتتجاوز الحد من النيل من كرامة الأنبياء الأطهار فوصفوهم بصفات لا تليق بهم، وجوزوا عليهم الكذب والخيانة كما جوزوا عليهم ارتكاب الكبائر وفعل الفواحش من شرب الخمر والزنى والإشراك بالله إلى غير ذلك من المخازى التى لم يتورعوا عن وصف أنبياءهم بها، ولم يكتف اليهود بنسبة المعصية إليهم وعدم الاعتقاد بعصمتهم بل يجعلون منهم أبطالاً للجريمة، وقادة للفجور وارتكاب المعاصى.

أما الأنبياء فى الإسلام فهم صفوة خلق الله الأخيار الذين اصطفاهم الله على العالمين وجعلهم رسلاً إلى خلقه يبلغون رسالته ويخرجون الناس من الضلال إلى الهدى، فالأنبياء هم شموس الحق أمام ظلمات الباطل وهم كواكب الهدى فى غياهب الشرك والضلال أرسلهم الله سبحانه بالهدى ودين الحق ليأخذوا بيد البشرية إلى سواء السبيل.

والأنبياء والرسل أناس من بنى آدم، وأفراد من خلق الله تعالى، اختارهم الله عز وجل، واصطفاهم من أولاد آدم عليه السلام، كى يبلغوا عن الله تعالى تعاليمه وشرائعه، وأوامره ونواهيه، إلى عباده وخلقه.

ولقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم، وأكرمه، وفضله على كثير ممن خلق، إذ خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وسخر له الكون بما فيه، ولقد أراد الله تعالى من الإنسان اعتقاداً صحيحاً وسلوكاً قويماً يحقق مصلحته ويجلب سعادته وليس له أن يدرك ذلك مستقلاً بحسه وعقله لقصور العقل البشرى عن إدراك ذلك فكان من رحمة الله بالإنسان أن اختار رجالاً

واصطفاهم وأمرهم بتبليغ هدايته ومنهجه وشرائعه إلى الناس[١].

قال تعالى [وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم][٢].
وقال تعالى [الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس][٣].

فاقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث الرسل إلى الناس، مبشرين ومنذرين، وهادين الخلق إلى الطريق المستقيم رحمة ولطفاً من رب العالمين، قال تعالى [رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً][٤].

فهؤلاء الأنبياء والرسل جميعاً رحمة من الله سبحانه الذى بعث كل نبى رحمة لقومه وزمانه حتى إذا جاء آخر الأنبياء وخاتمهم صلى الله عليه وسلم كان رحمة للعالمين كافة أنسهم وجنهم وأسودهم وأحمرهم قال تعالى [وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين][٥].

وهؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى الخلق هم خيار الخلق وأفضل البشر هداهم الله تعالى واجتباهم وأنعم عليهم بنعمة حمل الأمانة وتبليغها إلى البشر، لذلك اقتضت حكمة الله أن يجعلهم أكمل البشر خلقاً وأفضلهم علماً وأشرفهم نسباً وأعظمهم أمانة، كما اقتضت حكمته العلية أن يهبهم صفات تميزهم عن غيرهم فامتازوا بصدق الدعوة والأمانة والإخلاص والتوبة ونزهوا عن جميع الرذائل وسائر الأخلاق الذميمة، ولهذا اختصت النبوة بأشرف خلق الله من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأى والعصمة من الزلل والزيغ والكذب

---

(١) رسالة التوحيد، الامام محمد عبده ص ٩٩، ص١٠٢.
(٢) سورة يوسف- آية ١٠٩.
(٣) سورة الحج- آية ٧٥.
(٤) سورة النساء- آية ١٦٥.
(٥) سورة الأنبياء- آية ١٠٧.

والبهتان[١].

عصمة الأنبياء

وضع الإسلام أنبياء الله ورسله عليهم السلام فى موضعهم اللائق بعظمة رسالتهم السماوية المنزلة من لدن خبير عليم، حيث أن الغرض من إرسال الأنبياء إلى البشر، لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم، بما يصلح من أحوالهم فى دنياهم، ويستعدون به لحياة أبدية فى نشأة أخرى، ولا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلاً لأن يقتدى بهم فى أعمالهم وسيرتهم والتزام الشرائع والآداب التى يبلغونها عن ربهم[٢].

ومن ثم تجب عصمة الأنبياء عن اقتراف الذنوب والمعاصى وارتكاب المنكرات والمحرمات التى تتنافى مع رسالاتهم.

والعصمة فى اللغة معناها: المنع، يقال: عصم الله فلاناً من الشر أو الخطأ: أى حفظه الله ووقاه ومنعه، ويقال: عصم الشئ: منعه، قال تعالى [سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء][٣].

واعتصمت بالله امتنعت به، واستعصم: طلب العصمة، قال تعالى [ولقد راودته نفسه فاستعصم][٤]. أى امتنع امتناعاً شديداً، والعصمة: ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها[٥].

والعصمة فى اصطلاح المتكلمين هى حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم

---

(١) لوامع الأنوار البهية، السفارينى جـ٢ ص٢٢٦، ص٢٢٧.
(٢) الوحى المحمدى، محمد رشيد رضا ص٣٦.
(٣) سورة هود- آية ٤٣.
(٤) سورة يوسف- آية ٣٢.
(٥) المصباح المنير، ص٤١٤، المعجم الوسيط، ص٦٠٥.

من التلبس بمعصية، فهم محفظون ظاهراً من الزنا وشـــرب الخمـــر والفجـــور والغش وغير ذلك من المنهيات الظاهرة، كما أنهم محفظون باطنا مـــن الحســـد والكبر والرياء وغير ذلك من المنهيات الباطنة.

فالعصمة ثابتة للأنبياء وهى من صفاتهم التى أكرمهم اللـــه تعـــالىَ بهـــا وميزهم على سائر البشر، حيث وهبهم الله تعالى هذه النعمة العظمى، وحفظهـــم من ارتكاب المعاصى والذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يمكن أن تقع منهم معصية أو مخالفة لأوامر الله عز وجل بخلاف سائر البشر.

والعصمة ثابتة للأنبياء عقلاً وشرعاً:

أما عقلاً فلأن العقل يمنع أن يكون الإنسان نبياً ويكون مرتكباً للمعـــاصى كالكذب والخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا، لأن الأنبياء هم المثـــل والقـــدوة للبشر، والله سبحانه وتعالى أمرنا بإتباعهم والإقتداء بهم والسير على منهجهم فلو جاز وقوعهم فى المعصية أو ارتكابهم للموبقات والآثـــام لأصبحـــت المعصيـــة مشروعة، أو أصبحت طاعتهم علينا غير واجبة وهذا باطل بل هو أمر مستحيل، وأيضاً سلوك الأنبياء وأخلاقهم قبل البعثة تترك أثراً فى النفس ممـــا أوجـــب أن يكون النبى طاهرا نقياً طيب السلوك، عطر السيرة حتى قبل بعثته. فثبت عقلاً أن الأنبياء معصومون عما يتنافى مع نبوتهم[١].

وأما شرعاً، فلأن الأنبياء هم الصفوة المختارة وقد قال تعالى فيهم [وإنهـــم عندنا لمن المصطفين الأخيار][٢]. فقد اجتباهم الله ورعاهم منـــذ نشـــأتهم، ثـــم اصطفاهم، قال تعالى لموسى عليه السلام [ولتصنع على عينى][٣]. وقـــال عـــن

---

(١) شرح المقاصد، سعد الدين التفتازانى جـ٥ ص٥٠.
(٢) سورة ص- آية ٤٧.
(٣) سورة طه- آية ٣٩.

محمد صلى الله عليه وسلم [وإنك لعلى خلق عظيم][١].

إذن فالعقل والشرع يلزمان العقول بعصمة الأنبياء، إذ كيف يجوز أن يكون الإنسان نبياً ويكون سارقاً أوقاطع طريق أو شارباً للخمر أو زانياً أو غير ذلك من المحرمات والكبائر التى تمنع من الإقتداء به أو إتباعه وكيف يكون لكلام النبى أثر فى نفوس الناس إذا كانت حياته ملوثة أو سيرته غير طيبة.

وقد قال عز من قائل فى حق جميع الرسل [لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر][٢].

ومجمل القول أن عقيدة الإسلام فى الأنبياء هى العقيدة الحقة ففى الوقت الذى تؤكدفيه العقيدة الإسلامية بشرية الأنبياء، تعطيهم حقهم وما يجب من حقهم من مكارم الأخلاق وأسمى الصفات ثم تؤكدعصمتهم من الزلل والمعاصى خاصة بعد تلقيهم النبوة فالاعتقاد بطهارتهم ونزاهتهم هو ما يتفق مع رسالتهم العظيمة، ولا غرو فى ذلك فهم النموذج المجسد للفضيلة، والمثل الأسمى للخير، والقدوة الحسنة للبشرية. لذا جعلهم الله أئمة الدين والدنيا، ودعا إلى التأسى بهم والتماس طريقهم وترسم خطاهم قال تعالى [وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين][٣]، وقال تعالى [أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده][٤].

هذه على الاجمال صفات الأنبياء والرسل فى الإسلام فهل آمن اليهود بهذه الصفات؟ وهل وصفوا أنبياءهم بما يليق بهم من الصدق والأمانة والعصمة؟ للاجابة عن ذلك لابد من مقارنة ما ورد فى العهد القديم بما جاء فى القرآن

(١) سورة القلم- آية ٤.
(٢) سورة الممتحنة -آية ٦.
(٣) سورة الأنبياء- آية ٧٢.
(٤) سورة الأنعام- آية ٩٠.

الكريم خاصا بالأنبياء والرسل عليهم السلام، وسوف نقتصر على ذكر بعض الأنبياء والرسل وهم: نوح، وابراهيم، ولوط، ويعقوب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان عليهم جميعاً أفضل الصلوات والسلام.

نوح عليه السلام

ذكرت التوراة المحرفة عن نبى الله نوح عليه السلام من أنه شرب الخمر حتى سكر وذهب عقله، فيتعرى وتتكشف سوأته فيراه ابنه حام على هذا الحال المزرى فيخبر أخويه بذلك، وعندما يفيق نوح من خمره وسكره يلعن ابنه حام ويحكم عليه بالعبودية والمذلة لأخويه.

فقد جاء فى سفر التكوين (وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته وقال: مبارك الرب اله سام، وليكن كنعان عبدا لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم)[١].

ومن الواضح أن هذه القصة محض افتراء على نبى الله نوح عليه السلام الذى يحمل شرف النبوة وجلال الرسالة الإلهية، فكيف بنبى يدعو إلى التوحيد أن يشرب الخمر ويسكر، ويجرده صاحب الإصحاح من رشده الذى يقترن دائما بفراسة النبوة وإلهامها.

فإن تسجيل مثل هذا الموقف على نبى من أنبياء الله يدل على الافتراء

(١) سفر التكوين، الاصحاح التاسع -الفقرات ٢٠-٢٧.

والكذب، الأمر الذى لايعدو أن يكون تأصيلاً لنظرية بنى إسـرائيل العنصرية العرقية القاضية برفع سلالتهم فوق كل السلالات،وعلى الأخص فوق الكنعـانيين أعداءهم أصحاب الأرض التى استولى عليها بنوإسرائيل.

أما **القرآن الكريم** فإنه يقدم صورة مشرقة مضيئة لنبى الله نوح عليـه السلام فقد اصطفى الله تعالى نوحاً عليه السلام وبعثه إلى الناس لدعوتهم إلـى توحيد الله وعدم الإشراك به قال تعالى [إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين](١). يقول ابن كثير إن الله تعالى اختار هـذه البيـوت على سائر أهل الأرض واصطفى نوحاً عليه السلام وأرسله إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان وأشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً(٢).

ولم يكن نوح عليه السلام رسولاً فحسب بل هو واحد من أولـى العـزم الخمسة من الرسل قال تعالى [وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنـك ومـن نـوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً](٣).

قال القرطبى إنما خص هؤلاء الخمسة وإن دخلوا فى زمرة النبيين تفضيلاً لهم لأنهم أصحاب الشرائع والكتب(٤).

وقد دعى سيدنا نوح عليه السلام إلى توحيد المولى سبحانه وتعالى وعـدم الإشراك به وترك عبادة الأوثان قال تعالى [ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره](٥).

---

(١) سورة آل عمران- آية ٣٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ١ ص٣٥٨.
(٣) سورة الأحزاب- آية ٧.
(٤) تفسير القرطبى جـ٧ ص٥٣٨٧.
(٥) سورة الأعراف- آية ٦.

وكان بداية عبادة الأصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها ليتذكروا حالتهم وعبادتهم حتى يتشبهوا بهم، فلما طال الزمن جعلوا أجساماً على تلك الصور، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا فلما تفاقم الأمر بعث الله سبحانه وتعالى رسوله نوحاً فأمرهم بعبادة الله وحده لاشريك له[١]. قال تعالى [قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكراً كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا][٢].

وأخذ سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد فى همة لاتفتر وفى نشاط لا يتوانى وعزيمة لا تهزم واستخدم مختلف الأساليب فى دعوة قومه ومحاولة هدايتهم إلى الطريق القويم، فهو تارة يدعو جهراً وتارة يدعو سراً حسب الظروف وحسبما تستلزم الدعوة قال تعالى [ثم إنى دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً][٣].

وتوضح هذه الآيات ما يتصف به نوحاً عليه السلام من الدأب على الدعوة وتحين كل فرصة والإصرار على المواجهة حيث اتبع عليه السلام كل الأساليب فجهر بالدعوة تارة ثم زاوج بين الإعلان والإسرار تارة أخرى[٤].

وقد تحمل سيدنا نوح عليه السلام الكثير من المتاعب وواجه الكثير من المصاعب فى سبيل هداية قومه بلا مصلحة له ولا منفعة شخصية يريدها ولا أجراً يسألهم عليه قال تعالى [وياقوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٢ ص٢٢٣.
(٢) سورة نوح- الآيات ٢١-٢٣.
(٣) سورة نوح -الآيات ٨-٩.
(٤) فى ظلال القرآن، سيد قطب جـ٦ ص٣٧١٢.

الله][1]. فهو يقول لقومه لا أسألكم على نصحى لكم مالاً أجره، آخذها منكم إنما ابتغى الأجر من الله عز وجل.

وتتجلى عظمة سيدنا نوح عليه السلام فى صبره على عناد قومه واستكبارهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ومع ذلك لم يؤمن معه إلا قليل ولذلك اعتبره القرآن الكريم مثالاً للصبر على أذى الكافرين قال تعالى مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم [فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل][2]. أى فاصبر على تكذيب الكافرين كما صبر أولو العزم من الرسل على تكذيب قومهم وسيدنا نوح واحد من أولى العزم من الرسل.

وبجانب صبر سيدنا نوح على قومه وتحمله للأذى هذه المدة الطويلة فقد كان عبداً شكورا لله وليس عبدا شاكرا فقط وذلك أن الشكور أبلغ فى الشكر من شاكر[3]. قال تعالى [ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا][4]. قال ابن كثير أن نوحاً عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهذا سمى عبداً شكورا[5].

كما كان من مظاهر شكر نوح لله سبحانه وتعالى كثرة صيامه فقد روى ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر"[6].

---

(١) سورة هود- آية ٢٩.
(٢) سورة الأحقاف- آية ٣٥.
(٣) فى رحال الأنبياء والرسل، د. عبد الحليم محمود ص٥٩.
(٤) سورة الإسراء- آية ٣.
(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٣ ص٢٤.
(٦) سنن ابن ماجه جـ٢ ص١٧٥٦.

هكذا نجد سيدنا نوحاً عليه السلام فى القرآن الكريم نبياً عظيماً ورسولاً ذا دعوة واسعة، ومن أجل ذلك كان إماماً يقتدى به الأنبياء والمرسلون فضلاً عن بقية البشر.

وقد أطلق اسمه على سورة من سور القرآن العظيم، تنويها بشأنه وإعلاء لذكره وثناء عليه، وتشريفا له، فهو عليه السلام قد أنعم الله عليه وهداه واصطفاه واجتباه ووائقه على تبليغ رسالته إلى عباده، فكيف يذكر الله تعالى -فيما تفتريه التوراة على الله- أنه كان سكيراً متهتكاً متعريا كاشفا لعورته؟!، أو كيف يسوغ -فى العقل- أن يلعن ابنه لأنه اطلع على عورته، وهل يعقل أن يكتب موسى عليه السلام هذا الكلام عن أخيه نوح عليه السلام وهل يرضى هذا لنفسه واحد من كرام الناس!! فضلاً عن صفوة الناس، لكنه الحقد اليهودى على خيرة البشر وهداتهم.

هذا وقد وردت فى حق نوح عليه السلام آيات توهم بظاهرها صدور الذنب منه عليه السلام، لذا وجب أن أوضح جانب الصواب فى هذه الآيات لإزالة ما قد يتوهمه البعض منافيا للعصمة.

وهذه الآيات هى قوله تعالى [ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين، قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين][1].

فقد اشتبه على البعض فهم هذه الآيات فذكروا أن نوحاً عليه السلام قد ارتكب عدداً من المعاصى هى:

---

(١) سورة هود- الآيات ٤٥-٤٧.

الشبهة الأولى: ان قوله تعالى [يانوح إنه ليس من أهلك] تكذيب لـــه فـــى قوله [إن ابنى من أهلى] والكذب معصية تتنافى مع العصمة.

والجواب عن ذلك: أنه ليس للتكذيب بل للتنبيه، على أن المراد بالأهل فى الوعد هو الأهل الصالح، أو المعنى أنه ليس من أهل دينك، أو أنه أجنبى منك لما روى من أنه كان ابن امرأته، والأجنبى يعد من آل النبـــى إذا كـــان لـــه عمـــل صالح[1].

الشبهة الثانية: قوله تعالى [إنه عمل غير صالح] فالضمير فى (أنه) يعود على أرجح الآراء على السؤال، أى أن السؤال عمل غير صالح، وهذه معصية.

والجواب على ذلك: بأن هذا ليس من الكبائر التى تتعارض مع العصمـــة فليس فى الآية أكثر من أن الدعاء غير مقبول لأنه لا تتوافر فيه شروط الصلاح للقبول فهو غير مجاب، وهذا ليس معصية تتعارض مع العصمة[2].

الشبهة الثالثة: قالوا أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام [فلا تسألن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين] وهذا يدل علـــى أن نوحـــاً بهـــذا السؤال كان عاصياً.

والجواب على ذلك: أن سؤال نوح عليه السلام ليس معصيـــة لأن نوحـــاً عليه السلام تأول وعد الله تعالى أن يخلصه وأهله فظن أن ابنه من أهله علـــى ظاهر القرابة، ولم يسأل نوح تخليص من أيقن أنه ليس من أهله فتفرع عن ذلك نهى عن أن يكون من الجاهلين، وقد يكون النهى فى هذه الآية صادراً على سبيل التوجيه لا على سبيل كونه تحذيراً من خطأ تقدم[3].

---

(١) شرح المقاصد، التفتازانى، جـ٥ ص٥٤.
(٢) تفسير القرطبى، جـ٤ ص٣٣٦٤.
(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل، لابن حزم جـ٤ ص٥.

وعلى ذلك فإن كل ما قيل من شبهات فى حق نوح عليه السلام لا تقـــدح فى عصمته، فهو معصوم من الله تعالى ولا يمكن أن يقع منه مخالفة لأمر اللــه أو يرتكب ذنباً يستحق عليه عقوبة.

إبراهيم عليه السلام

أما عن إبراهيم عليه السلام فيطالعنا الإصحاح الثانى عشــر مــن ســفر التكوين بأنباء حدوث مجاعة فى أرض كنعان حيث كان إبراهيم عليه السلام قــد وصل إليها واستقر بها قادما من العراق كذلك يخبرنا نفس الإصحاح أن نبى الله كان فى سن متقدمة فقد أخبر الإصحاح أنه بلغ الخامسة والسبعين وأنه كان بناء على قصص سفر التكوين عليه أن يواصل الرحلة التى قطعها من العراق مــن عند ملك ظالم إلى فلسطين ومنها إلى مصر وهنا يروى لنا سفر التكوين رحلتــه إلى مصر قائلاً (وحدث جوع فى الأرض، فانحدر إبرام "إبراهيم" إلــى مصــر ليتغرب هناك، لأن الجوع فى الأرض كان شديداً ولما قرب أن يدخل مصر قال لساراى امرأته: إنى قد علمت أنــك امــرأة حســنة المنظــر، فيكــون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك. قولى أنك أختي، ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك فحدث لما دخل إبــرام إلــى مصــر رأى المصريون المرأة أنها حسنة جداً، ورآها رؤساء فرعون، ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى إبرام خير بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة، بسبب ساراى امرأة إبرام، فدعا إبرام وقال له: ماهذا الذى صنعته بى، لماذا لــم تخبرنى أنها امرأتك؟ لماذا قلت لى هى أختى حتى أخذتها لتكون زوجتى. والآن هوذا امرأتك. خذها واذهب)[١].

هذا ما يتحدث به هذا السفر عن إبراهيم عليه السلام أبى الأنبياء وخليــل

(١) سفر التكوين، الاصحاح الثانى عشر - الفقرات ١٤-١٩.

الرحمن ويسجل عليه أنه كذب فقال عن امرأته أنها أخته ثــم حــرض امرأتــه (ساراى) على أن تكذب، ثم باع امرأته لقاء الخير الذى كان يرجوه من الاتجــار بحسنها وجمالها لينال خيراً كثيراً، ولم تكتف التوراة المحرفة بذلك بــل تكــرر نفس الموقف وتجرى ذات القصة لإبراهيم وسارة مرة أخرى -حسبما يذكر سفر التكوين- حينما هاجر إلى منطقة جيرار وكاد أبيمالك حاكم جيرار يرتكب الإثــم مع سارة لولا أن أظهره الله فى المنام على حقيقتها وأنها امرأة إبراهيم لا أختــه وعاتبه على كذبه ثم أعطاه هبه من النعاج والعبيد والإماء، فكأنما كان إبراهيــم يتاجر بامرأته هذه متنقلاً بها من بلد إلى بلد[1].

فهل يعقل أن تكون سيرة رجل كريم على الله مثل أبــى الأنبيــاء يحمــل شرف النبوة والرسالة الدينية بهذا القدر من المهانة التى يلبسها إياه كاتب السفر، نبى الله ابرأ ما يكون من هذا البهتان الذى سجله كاتب سفر التكوين عــن أبــى الأنبياء.

أما إبراهيم عليه السلام فى **القرآن الكريم** فهو يحتل مكانة ســامية فــى قلوب ونفوس المسلمين فهو أبو الأنبياء وخليل الرحمن الذى اصطفاه الله ضمن من اصطفاهم الله على العالمين قال تعالى [واذكــر عبادنــا إبراهيــم واســحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنــا لمن المصطفين الأخيار][2]. فإن هؤلاء الرسل من المختارين المجتبين، ولم يقف هذا الاصطفاء على خليل الرحمن فقط بل شمل أيضاً آل إبراهيم ومنهــم ســيد البشر خاتم الأنبياء جميعاً سيدنا محمــد صلى الله عليه وسلم قال تعالى [إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين][3]. وهكذا يخبر اللــه

---

(١) سفر التكوين، الاصحاح عشرون- الفقرات ١-٧.

(٢) سورة ص- الآيات ٤٥-٤٧.

(٣) سورة آل عمران- آية ٣٣.

تعالى أنه اختار هذه البيوت واصطفاها وفضلهـــا علـــى ســائر أهــل الأرض جميعاً[١].

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ذكر إبراهيم عليه السلام ضمـــن بعــض أنبيائه الذين اصطفاهم على خلقه، فإن الله تعالى قد اختص أبا الأنبياء بخاصيـــة لم يحظ بها نبى سواه قال تعالى فى محكم آياته فى سورة النساء [ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخـــذ اللــه إبراهيــم خليلا][٢].

قال ابن كثير[٣]: لأنه إمام يقتدى به حيث وصل إلى غاية ما يتقــرب بــه العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخلة التى هى أرفع مقامات المحبة ومــا ذاك إلا لكثرة طاعته لربه كما وصفه ربه فى قوله [وإبراهيم الذى وفى][٤]. تلــك أرفــع مقامات المحبة التى وصل إليها إبراهيم، ولم يصل إبراهيم إلـــى تلــك المكانــة السامية لدى رب العزة إلا بفضل ما أنعمه الله عليه من صفات الخير فهو الأواه الحليم [إن إبراهيم لأواه حليم][٥]. أى المتضرع بالدعاء إلى الله الرحيـــم بعبــاد الله، المكثر من التوبة إلى الله والاستغفار حتى لمن أساء إليه وأذاه، حليماً عمن ظلمه وأناله مكروها، ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له وتهديـــده لـــه بـــالرجم والطرد قال تعالى [قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنـــك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا][٦] . فحلم عنه مع أذاه له واستغفر[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ١ ص٣٥٨.
(٢) سورة النساء- آية ١٢٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ١ ص٥٥٩.
(٤) سورة النجم- آية ٣٧.
(٥) سورة التوبة- آية ١١٤.
(٦) سورة مريم- الآيات ٤٦-٤٧.
(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٢ ص٣٩٥.

وهو الصادق الذى لم يكذب حتى عندما واجه أباه بضلالـــه وكفـــره قـــال تعالى [واذكر فى الكتاب إبراهيم انه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبـــد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا][١].

كما يخبر الحق تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه أتاه رشده من قبل أى من صغره حيث ألهمه الحق والحجة على قومه وكان هو أهلاً لذلـــك فقـــال تعالى [ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين][٢]. كما قال تعالى [وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه][٣].

وإبراهيم كذلك هو الوفى بما أمره الله به حيث امتثل لأوامر الله واجتنب جميع النواهى وبلغ رسالة الله إلى خلقه على التمام والكمال قال تعالى [وإبراهيم الذى وفى][٤]. وهو كذلك وكما يصفه القرآن الإمام الذى يقتـــدى بـــه، القـــانت الخاشع المطيع لله، الحنيف "أى المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيـــد" قـــال تعالى [إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين][٥]. كذلك فهـــو الشاكر لأنعم الله عليه ومن أجل ذلك فقد استحق فضل الله فاجتباه وهـــداه إلـــى صراط مستقيم وهو عبادة الله وحده لاشريك له قال تعالى [شاكراً لأنعمة اجتبـــاه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيـــا حســـنة وانـــه فـــى الآخـــرة لمـــن الصالحين][٦].

واجمالاً لتلك الخلال الطيبة فقد وصفه القرآن الكريم بأنه سليم القلب أى لا يوجد فى قلبه إلا شهادة أن لا إله إلا الله بكل ما تعنى وبكل ما تشتمل عليه مـــن

---

(١) سورة مريم- آية ٤١.
(٢) سورة الأنبياء- آية ٥١.
(٣) سورة الأنعام- آية ٨٣.
(٤) سورة النجم- آية ٣٧.
(٥) سورة النحل- آية ١٢٠.
(٦) سورة النحل - الآيات ١٢١-١٢٢.

أبعاد فإن الله حق والساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور، فقد كان قلب خليل الله سليما [إذ جاء ربه بقلب سليم][١]. أى لا توجد به شائبة من الشرك ويعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور[٢].

وليس بمستغرب بعد ذلك على من كانت تلك صفاته الطيبة أن يجعله الله إماماً للناس جميعاً وجعله للأمة الإسلامية الأسوة الحسنة فى الدعوة إلى عبادة التوحيد قال تعالى [قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه][٣].

ولقد أثاب المولى سبحانه إبراهيم عليه السلام على هذه الصفات وعلى طاعته لربه قال تعالى [وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب][٤]. هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلاً وجعله للناس إماما أن جعل فى ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبى بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالته، ولقد شمله فضل الله فى الدنيا والآخرة قال تعالى [وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين][٥]. أى جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة فكان له فى الدنيا الرزق الواسع الهنى والمنزل الرحب والمورد العذب والزوجة الحسنة الصالحة والثناء الجميل والذكر الحسن، وكل أحد يحبه ويتولاه مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه[٦].

وبعد فتلك كانت صورة خليل الرحمن أبى الأنبياء وإمام الحنفاء كما صورها القرآن الكريم، فهل يعقل أن يقبل هذا النبى الكريم الذى وقف وحده فى

---

(١) سزرة الصافات- آية ٨٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٤ ص١٢.
(٣) سورة الممتحنة- آية٤.
(٤) سورة الحديد- آية ٢٦.
(٥) سورة العنكبوت- آية ٢٧.
(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٣ ص٤١١.

وجه الكفر والطاغوت التجارة بزوجته -كما زعمت أسفار العهد القديم- من أجل منفعة زائلة فى دنيا زائلة حاشا لله وحاشا لخليل الله فإن هذه القصة لم يشر إليها المولى سبحانه فى كتابه العزيز لامن قريب ولا من بعيد فدل ذلك على افتراء كتاب العهد القديم على نبى الله وأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

هذا وقد أورد المخالفون فى العصمة عدة شبهات فى حق إبراهيم عليه السلام نذكر منها ما يلى:

١ - قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام [فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى][1]، قالوا إن كان ذلك عن اعتقاد كان شركاً وإن لم يكن عن اعتقاد كان كذباً.

والرد على ذلك : أن إبراهيم لم يقل (هذا ربى) على سبيل الاعتقاد بل على سبيل الفرض مجاراة لهم ليبطل لهم أن الكواكب آلهة ثم ينتقل من هذا الفرض إلى أن اعتقاد ألوهية غير الله تعالى باطل[2].

٢ - قوله تعالى [رب أرنى كيف تحى الموتى][3]. قالوا: إن فى ذلك شك فى قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وذلك كفر.

والجواب عن ذلك: أن سؤال إبراهيم عليه السلام لم يكن عن شك فى قدرة الله على الاحياء وإنما هو طلب للاطمئنان الذى يتحقق بالمشاهدة ورؤية العين، لأن فى عين اليقين من الطمأنينة ما ليس فى علم اليقين[4].

ويقال أيضاً: أن إبراهيم عليه السلام سأل عن كيفية الاحياء لا عن القدرة على الاحياء لما فى الاحاطة بالكيفية التفصيلية من قوة ورسوخ أكثر من

---

(١) سورة الأنعام- آية ٧٦.
(٢) شرح المقاصد، جـ٥ ص ٥٠، المواقف، ص٣٦٢.
(٣) سورة البقرة- آية ٢٦٠.
(٤) المواقف، ص٣٦٢.

المعرفة الاجمالية[١].

أما ما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتين منهن فى ذات الله: قوله (إنى سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقال بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إن ههنا رجلاً معه إمرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها: من هذه؟ قال: أختى"[٢].

فإن الحديث ليس فيه ما يدل على عدم العصمة، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقصد حقيقة الكذب، وإنما قصد أن إبراهيم عليه السلام أخبر باخبارات توهم الكذب فى الظاهر، وهى ليست كذلك فى الحقيقة والواقع، أو أن ذلك من قبيل التعريض الذى قال عليه السلام فيه "أن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب".

فقوله تعالى [فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم][٣]. معناه أنه عليه السلام سقيم من اعتقاد قومه فى النجوم أنها تفعل كل شئ، فلم يقصد إبراهيم عليه السلام بـ(انى سقيم) المعنى الحقيقى وانما قصد المعنى المجازى أن نفسه قد أصابها السقم من قومه الذين عبدوا هذه النجوم وأسندوا إليها فعل كل شئ وهى لا تسمع ولا تنفع ولا تغنى عن صاحبها شيئا[٤].

أما قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام أنه قال [بل فعله كبيرهم هذا][٥]. فإن إبراهيم لم يقصد بهذا القول نسبة الفعل الصادر منه إلى الصنم حتى

---

(١) الفصل، لابن حزم جـ٤ ص٦.
(٢) رواه البخارى فى كتاب النكاح، جـ٣ ص٢٤٠.
(٣) سورة الصافات- آية ٨٨-٨٩.
(٤) الفصل. لابن حزم جـ٤ ص٥.
(٥) سورة الأنبياء- آية ٦٣.

يكون كذباً، فإن ذلك لايدور بخلد عاقل، وانما قصد التعريض بمعتقدهم الفاسـد وهو عبادتهم أصنام لا تضر ولا تنفع، لذلك ذيل الحديث بقولـه (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) ليزيد فى التهكم بآلهتهم التى لا تستطيع أن تدفـع نفسـها البـلاء فكيف تدفعه عنهم. فقول إبراهيم إذن على سبيل الاستهزاء لا لنسبة الفعل حقيقة للصنم.

أما قوله عليه السلام عن سارة (هذه أختى) فإنما اراد بذلك أخـوة الديـن والعقيدة أو أنها من قومه ومن مستجيبيه، فليس فيه كذب، وانمـا هـو الصـدق بعينه، وقد قال الله تعالى [إنما المؤمنون اخوة][(١)]. فصح أنه عليه السلام صادق فى قوله سارة أختى[(٢)]. وليس كما يدعى كتاب العهد القديم أنه قال أختى حتـى يتاجر بجمالها وحسنها ويحصل على خير كثير حاشا لنبى الله وخليل الرحمن.

<u>لوط عليه السلام</u>

وعن لوط عليه السلام تحكى التوراة المحرفة قصتان أشنع وأبشـع ممـا حكت عن إبراهيم عليه السلام فهى تنسب إلى نبى الله لوط عليه السلام جريمـة معاقرة الخمر والسكر والزنى بابنتيه والإنجاب منهما سفاحاً، وهـذا ممـا يأبـاه لأنفسهم شرار الخلق وأرذلهم فمن باب أولى يأباه الرسل الأئمة الهداة.

<u>الأولى</u>: يخبرنا الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين (فجاء الملكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا فى باب سدوم. فلما رآهما لوط قـام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض. وقال ياسيدى ميلا إلى بيت عبدكما وبيتـا واغسـلا أرجلكما. ثم تبكران وتذهبان فى طريقكما. فقالا لا بل فى الساحة نبيـت. فـألح عليهما جداً فمالا إليه ودخلا بيته. فصنع لهما ضيافة وخبز فطيراً فأكلا وقبلمـا

---

(١) سورة الحجرات- آية ١٠.

(٢) شرح المواقف، جـ٨ ص ٢٧١، الفصل، جـ٤، ص٥.

اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة "رجال سدوم"[١] من الحدث إلى الشيخ كـل الشعب من أقصاها فنادوا لوطا وقالوا له أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلـة. أخرجهما إلينا لنعرفهما. فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه. وقال لا تفعلوا شراً ياأخوتى. هوذا لى ابنتان لم تعرفا رجلاً. أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن فى عيونكم. وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً لأنهما قد دخـلا تحت ظل سقفى)[٢]. والقصة تدل على أن لوط عرض ابنتيه للزنا بهما لأن قومه كانوا فاسقين ولا يحسن فى عين الفاسق إلا الرذيلة.

ومهما كان من أمر فان تسجيل مثل هذا الموقـف يـدل علـى الافـتراء والفحش على نبى من أنبياء الله وحاشا لنبى مـن أنبياء الله أن يقع فى فحـش كهذا الذى تنعدم فيه عاطفة الأب ورجولته فيدفع ببناته إلى هذه المهانة.

والقصة على هذا الوضع محض افتراء ولا يتصور صدور وقائعها مـن رجل عادى ذى خلق فضلاً عن نبى كريم.

الثانية: إذ تذكر أنه لم ينج من أهل قريتى سدوم وعمورة اللتين دمرهمـا الله تعالى إلا لوط وابنتاه (وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن فى صوغر. فسكن فـى المغارة هو وابنتاه. وقالت البكـر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كـل الأرض هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحيى من أبينا نسلاً فسقتا أباهمـا خمـراً فـى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلـم باضطجاعهـا ولا بقيامها وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة أنى قد اضطجعت البارحـة مـع أبى. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فأدخلي واضطجعى معه. فنحيى من أبينـا نسـلاً.

---

(١) يذكر الاصحاح الثالث عشر من سفر التكوين أن أهل سدوم كانوا أشراراً وخطاه لدى الرب على حد تعبير كاتب الاصحاح.

(٢) سفر التكوين، الاصحاح التاسع عشر- الفقرات ١٠٨.

فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم)[١].

ويسأل صاحب السيف الصقيل تعليقاً على هذه الحكاية: فيقول: "لو فرضنا صدق هذه الحكاية المحال وقوعها وأنها صادرة عن علم موسى عليه السلام فما الحامل له على ذكرها أو ما الغرض والفائدة من بثها. مع أنه لم يلحقها بوعيد عذاب ولا شديد عقاب؟ حاشا لجنابه الشريف أن يتعرض لهتك أعراض الأنبياء النزهة إعراضهم عن عروض مثل هذه الأعراض وما هى إلا دسيسة من لا يخشى الله فى الكتب السماوية"[٢].

ونقول أن التلفيق واضح فى القصة والكذب مفضوح فيها، فليس يقع فى عقل عاقل أن ابنتى لوط قد أسكرتاه ثم اضجعت الواحدة بعد الأخرى مع أبيهما وحملت منه سفاحاً.

إن كاتب الإصحاح هذا يجرد نبياً من أنبياء الله من أبسط قواعد الفطرة الإنسانية ويجرده من وعيه كانسان فى محنة ساقها الله إليه وأنجاه ويجرده من رشده الذى يقترن دائماً بفراسة النبوة وإلهامها.

هذا وتعتبر رواية العهد القديم فى سفر التكوين بهذا الإثم الذى ألصقته بواحد من أنبياء الله من أبشع وأفحش الروايات والقصص التى تنسج تهما ومفتريات وتخلعها على النماذج العظيمة من البشر.

---

(١) سفر التكوين، الاصحاح التاسع عشر - الفقرات ٣٠-٣٨.
(٢) السيف الصقيل، للشيخ أبى بكر عمر التميمى الدارى ص١١.

أما لوط عليه السلام فى **القرآن الكريم** فهو نبى كريم من أنبيــــاء اللــه الذين أرسلهم بالهدى إلى أقوامهم، وقد وصفه الله تعالى فى كتابه العزيز بعـــدة صفات جعلته أهلاً لشرف النبوة منها أنه آمن بنبوة إبراهيم عليه السلام وصـــدق به وهاجر معه فى أرض الله من أجل إعلاء كلمة الحـق وإظهـار ديـن اللـه والتمكين له قال تعالى [فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى إنه هو العزيـــز الحكيم][١]. بل وقيل أنه الوحيد من قوم إبراهيم الذى آمن به وهاجر معـــه إلـــى الشام ومصر، كما أتاه الله حكماً وعلماً وجعله نبياً وبعثه إلى قومه أهل ســـدوم وأعمالها [ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبـــائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه فى حرمتنا إنه من الصالحين][٢]. واســـتمر يدعوهم إلى عبادة الله الحق وترك ماهم عليه من مفاسد الأخلاق والعبـث فـــى أرض الله فلم يؤمن به إلا نفر قليل [فما وجدنا فيها غير بيت من المســلمين][٣]. ورغم الجحود من قومه وعدم إيمانهم بما جاء به لم يتوقف عن دعوتهـــم إلـــى مكارم الأخلاق ولذلك استحق رحمة الله وفضله فقد كان من الصالحين [وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين].

تلك هى صفات نبى الله لوط كما جاءت فى القرآن الكريم فهل يعقـــل أن تأتى منه تلك الأفعال الشائنة التى ألصقتها به مزاعم أسفار بنى إسرائيل من أنـــه قدم بناته إلى سفهاء قومه ليرتكبوا معهم جريمة الزنا، وقد وردت قصة لوط مع قومه وملائكة الله بالتفصيل فى أكثر من موضع فـــى القرآن الكريم حيث جاءت فىسورة هود قال تعالى [ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قـــال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليـــس منكـم

(١) سورة العنكبوت- آية ٢٦.
(٢) سورة الأنبياء- الآيات ٧٤-٧٥.
(٣) سورة الذاريات - آية ٣٦.

رجل رشيد، قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد قال لو أن لى بكم قوة أو أوى إلى ركن شديد قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلـــوا إليـــك فاسربأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحدإلا امرأتك انه مصيبهاماأصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلماجاء أمرنا جعلنـــا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد][١].

وقد ذكرت هذه القصة بتمامها فى عدة سور ويتبين من هذه القصة أن أهل القرية جاءوا إلى لوط طالبين ضيوفه ليفعلوا فيهم الفاحشة وقد جاهد لـــوط فـــى ردهم وبالغ فى ذلك حتى طلب إليهم أن يأخذوا بناته فلم يصغوا إليه حيث قـــال [ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكـــم رجل رشيد]، وقد يتبادر إلى الذهن ومن ظاهر ألفاظ القرآن الكريم أن لوطاً قـــد عرض بناته على قومه ليفعلوا بهم ماشاء لهم ولكن يمنع من هذا قوله تعالى [هن أطهر لكم] وكيف يتفق الطهر والنقاء مع ما أشارت إليه أسفار العهد القديم وكيف تسمح نفس لوط بابنتيه يقدمهم لهؤلاء الفسقة وهو نبى معصوم من المعصية شأنه شأن جميع الأنبياء، وقد ورد فى تفسير هذه الآية (هؤلاء بناتى) ان لوطا عليـــه السلام عرض بناته للزواج، وقال مجاهد وسعيد بن جبير أشار بقوله (بناتى) إلى النساء جملة إذ نبى القوم أب لهم، وقال أبو عبيده: إنما كان الكلام مدافعـــة ولـــم يرد امضاءه، وقال عكرمة: لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته، إنما قال لهـــم هذا لينصرفوا[٢].

وهذا الرأى الأخير أولى بالقبول فلعل لوطا عليه السلام عـــرض ابنتيـــه اعتماداً على أنهم يستحيون منه ويخجلون ليكفوا عن خزايته فى ضيفـــه وهـــذا القول قد أورده كثير من المفسرين كأبى السعود والفخر الرازى والأصفهانى.

---

(١) سورة هود- الآيات ٧٧-٨٣.
(٢) تفسير القرطبى، جـ٤ ص٣٣٩٥.

وأيا كان الخلاف فى تفسير تلك الآية الكريمة فإنها جميعاً قد اتفقت على أن لوطاً لم يعرض أو لم يقصد أن يعرض بنات قومه أو بناته للزنا وهذا هو رأى القرآن الكريم ورأى كافة المسلمين الذى يتمشى مع عصمة أنبياء الله ويتنافى مع خلقه الكريم حاشا لنبى الله لوط أن يقع فى مثل هذا الفحش الذى تنعدم فيه عاطفة الأب ورجولته فيدفع ببناته إلى هذه المهانة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تذهب افتراءات أسفار بنى إسرائيل على نبى الله لوط أبعد من ذلك حيث تذكر أن ابنتى لوط قد أسكرتاه ثم أضجعت الواحدة بعد الأخرى مع أبيها وحملت منه سفاحا، وهذه المزاعم الفاسدة يأباها الإسلام ويرفضها ولا يقبل العقل أن تأتى تلك الأفعال المشينة من بنات لوط اللاتى آمن به وكانتا بين من أنجاهم الله من عذاب قوم لوط كما لايعقل أن يفعل ذلك نبى كريم تأكد له أنه لامعين له ولا ناصر إلا الله سبحانه رحم الله لوطا وبرأه مما يقوله كتاب أسفار العهد القديم أعداء رسل الله جميعاً.

يعقوب عليه السلام

أما ما ترويه التوراة المحرفة عن يعقوب وأخيه عيسو ولدى إسحاق أن يعقوب كذب على أبيه واحتال عليه وسرق بركة أخيه البكر عيسو التى استحقها من أبيه لبكوريته طبقاً لقواعد التوراة فقد جاء فى سفر التكوين: "أن إسحاق تزوج من امرأة اسمها "رفقه" فحملت منه، وتزاحم فى بطنها توأمان فمضت لتسأل الرب فقال الرب: فى بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد الصغير، فلما كملت أيامها لتلد إذا فى بطنها توأمان فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو، وأصبح بكر أبيه، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب. وكبر الغلامان وكان إسحق يحب عيسو وأما رفقه فكانت تحب يعقوب وطالما حاول يعقوب أن يحل محل أخيه فى البكوريه، وتقول التوراة المحرفة أن يعقوب

طبخ طبيخاً فأتى عيسو من الحقل وقد أعيا، فقال ليعقوب" أطعمني لا أنـــي قــد أعييت فقال يعقوب: بعنى اليوم بكوريتك، فقال عيسو : أنا ماض إلى الموت فلماذا لى بكورية؟ فقــال يعقوب: احلف لى اليوم: فحلف له، فباع بكوريته ليعقـــوب، فأعطى يعقوب خبزا وطبيخ عدس فأكل وشرب وقام ومضى، فـــاحتقر عيســو البكورية"[١].

ذكر لنا كاتب هذا الإصحاح أن السيدة "رفقه" كانت تحب يعقوب أكثر من عيسو ولا يخجل كاتب الإصحاح أن يرينا فى الوجه المقابل إسحق وهو يحـــب (عيسو) أكثر من يعقوب، وتفجرت هذه المشاعر المتباينة إلى ما يشبه الصــــدام بين عيسو ويعقــوب وكان من نتيجة هذا الصدام احتقار عيسو لبكوريتـــه التـــى كان يتميز بها على يعقوب فى اعتقاد العهد القديم وكان بعد ذلك بيـــن الرجليـــن ماكان من فرقة ونفره سجلها العهد القديم بالتفصيل، والواضح من هذه القصة أن يعقوب استغل فرصـــة حاجة أخيه إلى الطعام فى الحصول على بكوريته وقبـــل عيسو بيع بكوريته لقـــاء وجبة طعام كان بأمس الحاجة إليها وعلى الرغم من أن ترتيب الولادة أمـــر لايجوز أن يكون موضع المساومة بيعاً أو شراءاً فإن العبرة المستمدة من هذه القصة تشجيع الوصولية والانتهازية حتى بين أقرب الأقربيـــن واستغلال حاجة الغير إلى القليل لاغتصاب حقهم فى الكثير[٢].

ويستمر سفر التكوين فى وصف المحاولات التى قام بها يعقـــوب لينـــال ميراث أبيه دون أخيه عيسو، ويصف سفر التكوين أعمـــال يعقــوب بالشـــطط والكذب لينال ماليس له، وفيما يلى عبارة سفر التكوين: (وحدث لما شاخ إســـحق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا ابنى. فقال له هانذا. فقال إننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى فالآن خذ عدتك جعبتـــك وقوســك

(١) سفر التكوين، الاصحاح الخامس والعشرون- الفقرات ٢١-٣٤.
(٢) التراث اليهودى، الصهيونى والفكر الفرويدى، د. صبرى جرجس ص٦٧.

واخرج إلى البرية وتصيد لى صيداً. واصنع لى أطعمة كما أحب وإنني لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت.

وكانت "رفقه" سامعة إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيدا ليأتى به. وأما "رفقه" فكلمت يعقوب ابنها قائلة أنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً. ائتني بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي. فالآن يا ابنى اسمع لقولى فيما أنا آمرك به. اذهب إلى الغنم وخذ لى من هناك جديين جيدين من المعزى. فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب. فتحضرها إلى ابيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقه أمه هوذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس. ربما يجسنى أنى فأكون فى عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة. فقالت له أمه لعنتك على يا ابنى. اسمع لقولى فقط واذهب خذلى. فذهب وأخذ وأحضر لأمه فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رفقه ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جلدى المعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها.

فدخل إلى أبيه وقال يا أبى. فقال هاأنذا. من أنت يا ابنى. فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتنى. قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك فقال إسحق لابنه ماهذا الذى أسرعت لتجد يا ابنى. فقال أن الرب إلهك قد يسر لى فقال إسحق ليعقوب تقدم لأجسك يا ابنى. أأنت هو ابنى عيسو أم لا. فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه. فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسو أخيه. فباركه. وقال هل أنت هو ابنى عيسو. فقال أنا هو. فقال قدم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى. فقدم له فأكل. وأحضر له خمراً فشرب. فقال له إسحق أبوه تقدم وقبلنى يا ابنى. فتقدم وقبله. فشم رائحة ثيابه وباركه. وقال انظر رائحة ابنى كرائحة

حقل قد باركه الرب فليحطك الله من ندى السماء ومن دســم الأرض. وكــثرة حنطة وخمر ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيداً لأخوتك. وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين)[١].

ويستطرد سفر التكوين فيذكر أن عيسو عاد وصنع طعاماً وجاء إلى أبيــه فعرف ما حدث وطلب من أبيه أن يباركه وصرخ وبكى وقال له إسحق هــو ذا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوق، وبسيفك تعيش ولأخيــك تستعبد.

وقد بين العلامة "ابن حزم" فى نقد لاذع وتحليل رائع، مافى هذه القصــة من أكاذيب وخرافات ومتناقضات إذ يقول:[٢] "وفى هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات".

فأول ذلك إطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه. وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء. فكيف من نبى مع أبيه وهو نبى أيضا؟ هذه سوءات مضاعفات. وثانية وهــى أخبــارهم أن بركــة يعقوب إنما كانت مسروقة بغش وخديعة وتخابث. وحاش للأنبياء عليهم الســلام من هذا.

ولعمرى أنها لطريقة اليهود فما تلقــى منهــم إلا الخبيــث الخــادع وإلا الشاذ.... وثالثة: وهى أخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطىنعمتــه عــن طريق الغش والخديعة وحاش الله من هذا.

ورابعة: وهى أنه لايشك أحد فى أن إسحق عليه السلام إذ بارك يعقــوب

---

(١) سفر التكوين، الاصحاح السابع والعشرون- الفقرات ١-٢٩.
(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم، جـ١ ص١٠٨ ومابعدها.

حينما خدعه، إنما قصد بتلك البركة عيسو، وأنه دعا لعيسو لا ليعقوب. فأى منفعة للخديعة هاهنا، لو كان لهم عقل.

وما أشبه هذه القضية بحمق الغالبة من الرافضة القائلين أن الله تعالى بعث جبريل إلى علي، فأخطأ وأتى إلى محمد (فأصبح محمد نبياً مع أن علياً كان هو المقصود عند الله). وهكذا بارك إسحق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب. فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله. فهذه وجوه الخبث والغش في هذه القضية.

"وأما وجوه الكذب فكثيرة جداً. من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام، وهو نبى الله تعالى ورسوله، فى أربعة مواضع":
أولها وثانيها قوله لأبيه إسحق أنا ابنك عيسو وبكرك. فهاتان كذبتان في نسق لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره.
وثالثها ورابعها قوله لأبيه صنعت جميع ماقلت لى فاجلس وكل من صيدى فهاتان كذبتان فى نسق. لأنه لم يكن قال له شيئاً ولا أطعمه من صيده.
وكذبات أخرى وهى: بطلان بركة إسحق إذ قال ليعقوب تخدمك الأمة وتخضع لك الشعوب وتكون مولى أخوتك، ويسجد لك بنو أمك، وبطلان قوله لعيسو تستعبد لأخيك.

فهذه كذبات متواليات. فوالله ما خدمت الأمم يعقوب ولا بنيه بعده، ولا خضعت لهم الشعوب، ولا كانوا موالي أخوتهم، ولا سجد لهم ولا له بنوا أمه. بل أن بنى إسرائيل هم الذين خدموا الأمم فى كل بلدة وخضعوا للشعوب قديماً وحديثاً فى أيام دولتهم وبعدها.

ولم يقف كتبة التوراة المحرفة مع نبى الله يعقوب عليه السلام عند هذا الحد بل ينسبوا حوادث زنى متكررة فى بيت يعقوب، فقد زنى شكيم بن حمور

بابنة يعقوب "دينا"[١] واضطجع ابنه راوبين سفاحا مع سرية أبيه[٢]، وكذلك يهوذا يزنى بثامار[٣]، مما يعكس صورة ملطخة بالرذيلة والفجــور والفاحشــة لبيــت يعقوب عليه السلام.

ومن العجيب أن يصور كاتب التوراة يعقوب بهذه المهانة، وينتسب إليه بنو إسرائيل، إذ أنهم سموا بهذا الاسم نسبة إلى اللقب الذى لقب به يعقوب بن إسحق فقد لقب يعقوب بإسرائيل فبنو إسرائيل هم وحدهم أولاد يعقوب بن إسحق وهــم الأسباط الاثنا عشر الذى تكونت منهم بيوت إسرائيل[٤].

فإذا كان أبوهم إسرائيل (يعقوب) كاذباً محتالاً سارقا، وإذا كــانت بركتــه وبكوريته قد استلبها من أخيه بالتحايل والخديعة فما يبقى له من فضل وفضيلة؟! وماذا يبقى لبنيه من بعده؟!

أما ما ذكره **القرآن الكريم** عن يعقوب عليه السلام فإنه يضعه فى مكانة من الحكمة واليقين، فهو الوليد الذى بشرت الملائكة بمولده قبل مولد أبيــه وقــد جاء ذلك عندما جاءت ملائكة الله لبشارة إبراهيم خليل الله بمولد إسحاق وفــى نفس الوقت حملت معها البشارة بمولد يعقوب قال تعالى [وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب][٥]. فهو الكريم ابن الكريم هو النبى وابن النبى إسحاق ابــن النبى إبراهيم عليه السلام ولذا ليس غريباً أنــه جمــع العديد مــن صفات الخير التى تليق بمن يتشرف بهذا النســب الشــريف ســليل النبوة، ومن تلك الصفات الصبر والإيمان بقضاء الله وقدره حتى عندما يفقد ابنه

---

(١) سفر التكوين- الفقرات ٣٤، ٣.
(٢) سفر التكوين- الفقرات ٣٥، ٢٢.
(٣) سفر التكوين- الفقرات ٣٨: ٦-١١، ٣٤-٣٥.
(٤) مقارنة الأديان بين اليهودية والاسلام، د. عوض الله حجازى ص٦٩.
(٥) سورة هود- آية ٧١.

الذى يتوسم فيه حمل شرف النبوة من بعده فهو الصابر الذى لايشكو ولا يجزع بل يستعين بالحق سبحانه وتعالى فى رفع البلاء قال تعالى [فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون][1]. وهو المتقبل لحكم الله المتوكل عليه فى كل أموره وشئونه بل ويدعو كذلك إلى التوكل على الله قال تعالى [إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون][2]. وهو كذلك المؤمل فى وجه الله الواثق من رحمته وفضله ولذلك فقد أمر أبناءه بالبحث عن أخيهم يوسف وعدم اليأس من رحمة الله قال تعالى على لسان يعقوب مخاطبا أبناءه [ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون][3].

وتتجلى قوة إيمان يعقوب وتوكله على الله عندما طلب أبناؤه منه أن يسلم إليهم أخاهم يوسف ورغم سابق تجربته معهم وعدم محافظتهم على يوسف قبل ذلك فانه وافق أن يرسل ابنه معهم بشرط أن يؤتوه موثقا من الله فهو بهذا يوكل إلى ربه العناية به وعودته إليه مرة أخرى قال تعالى على لسان يعقوب مخاطبا أبناءه[قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتننى به إلا أن يحاط بكم فلما أتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل][4].

ولقد أنعم الله على يعقوب بالنعم العظمى حيث آتاه العلم وهى نعمة كبرى قال تعالى على لسان يعقوب [أنى أعلم من الله مالا تعلمون][5]. وكما أنعم الله عليه بنعمة الوحى إليه وجعله فى مصاف الأنبياء الذين ورد ذكرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى [إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط

---

(١) سورة يوسف- آية ١٨.
(٢) سورة يوسف- آية ٦٧.
(٣) سورة يوسف- آية ٨٧.
(٤) سورة يوسف- آية ٦٦.
(٥) سورة يوسف- آية ٩٦.

وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا][١]. وكان جوهر هذا الوحى من الله هو الإيمان بالله وحده لا شريك له سبحانه قال تعالى على لسان يوسف [واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شئ][٢].

هذا هو جوهر كل رسالات الله ومحور دعوة جميع أنبياء الله وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم، ولذا فقد أمرنا المولى سبحانه أن نؤمن بجميع الرسالات والأنبياء ومن بينهم يعقوب عليه السلام قال تعالى [قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون][٣]. وتتضح عظمة نبى الله يعقوب عليه السلام عندما يظهر له شبح الموت ويتأكد أن آخرته قد دنت ويعمل عقله فى البحث عن وصية يتركها لأبنائه فلم يجد أفضل من وصيتهم بعبادة الله وحده لاشريك له واسلام وجههم له سبحانه قال تعالى [أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلاهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون][٤]. فالإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم[٥].

هكذا يمضى الذكر الحكيم فى الذود عن أنبياء الله والدافع عنهم ونفى كل ماحاول كتاب العهد القديم إلصاقه بهم من زيف وضلال وتقديم صورة مشرفة وضاءة تعرض فى أسلوب مهذب رقيق ما تعرضوا له من أذى وما تحملوا به

(١) سورة النساء- آية ١٦٣.
(٢) سورة يوسف- آية ٣٨.
(٣) سورة البقرة- آية ١٣٦.
(٤) سورة البقرة- اية ١٣٣.
(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ١ ص١٨٦.

من إيمان عميق بالله يدل على قوة صلتهم بالمولى جل وعلـــى، ومـــن هــؤلاء النبيين يعقوب عليه السلام سليل الأنبياء وخير خلف لخير سلف فهـــل يعقـــل أن يلتفت من أتاه الله هذا الفضل ورفعة إلى تلك الدرجات العلا إلى توافه الأمـــور كما ذكرت أسفار العهد القديم من محاولة يعقوب شراء بكـــورة أخيـــه لينـــال ميراث أبيه دون أخيه، قبح الله كتاب تلك الأسفار الذين لم يراعوا لله حدوداً ولا لرسله وقاراً.

موسى عليه السلام

أما ما ذكرته التوراة المحرفة عن موسى عليه السلام فمن أبرز الأحـــداث التى تتصل به وبربه وشعبه مسألة سرقة بنى إسرائيل حلى المصريـــين تنفيـــذا لوصية الرب التى أوصى بها موسى وبلغها إلى قومه فعملوا بها، وفيمـــا يلـــى كلمات التوراة المحرفة. وأعطى -أى الله- نعمة لهذا الشـــعب فـــى عيـــون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امـــرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً، وتضمونها علـــى بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[١]، وفعل بنو إسرائيل بحســب قـــول موســى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً،وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين[٢].

ويعلق الأستاذ محمد عزه دروزه على هذا النص بقوله: ومهما كان مـــن أمر فإن تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب يدل على ماكان وظل يتحكم فى نفـــوس بنى إسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها بأية وسيلة، ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس كما أنه كان ذا أثر شديد بدون ريب فـــى رســـوخ هـــذا

---

(١) سفر الخروج. الاصحاح الثالث- الفقرات- ٢١-٢٢.

(٢) سفر الخروج- الفقرات ١٢، ٣٥-٣٦.

الخلق العجيب فى ذراريهم ثم من دخل فى دينهم من غير جنسهم[١].

وليت التوراة المحرفة انتهت عند هذا الحد، لكنها وجهت إلى موسى - أعظم أنبياء بنى إسرائيل قاطبة- وإلى أخيه وشريكه فى الأمر هارون عليهما السلام، جريمة خيانة الرب عز وجل !! وعدم تقديسه أو عدم الإيمان به إيماناً عميقاً، وتذكر التوراة -الحالية- ذلك عن موسى صراحة دون مواربة، وتؤكد ذلك بأن الله قد حكم على موسى وهارون بالحرمان من دخول الأرض المقدسة الموعودة عقاباً لهما على إثمهما وخيانتهما الرب وسط بنى إسرائيل "فقال الرب لموسى وهارون: من أجل أنكما لم تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها"[٢].

وجاء فى سفر التثنية: "وكلم الله موسى.. قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم فى أرض موآب الذى قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكاً، ومت فى الجبل الذى تصعد إليه، وانضم إلى قومك، كما مات هارون من قبل فى جبل هور، وضم إلى قومه، لأنكما خنتمانى فى وسط بنى إسرائيل عند ماء مريبة قادش فى برية صين، إذ لم تقدسانى فى وسط بنى إسرائيل، فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل"[٣].

لم يكف كاتب التوراة ذلك، بل نسب إلى موسى عليه السلام أنه هو الذى صنع لبنى إسرائيل الحية النحاسية التى قدسها الإسرائيليون ونذروا لها وقدموا لها الذبائح، حتى جاء حزقيا ابن آخاز ملك يهوذا فسحقها.

---

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم، جـ١ ص٧٨، ص٧٩.
(٢) سفر العدد- الفقرات ٢: ١٢-١٣.
(٣) سفر التثنية- الفقرات ٣٢: ٤٨-٥٢.

"وسحق (حزقيا) حية النحاس التي عملها موسى، لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها، ودعوها نحشتان"[١].

أما **القرآن الكريم** فقد تحدث عن نبي الله موسى عليه السلام كما لم يتحدث عن نبي غيره حيث تكرر الحديث عنه وعن سيرته أكثر من الحديث عن أي من أنبياء بني إسرائيل فلقد بين الله تعالى في القرآن الكريم بتفصيل دقيق وإحاطة شاملة كل ما يتعلق بسيرته منذ طفولته المبكرة ونشأته وسيرته مع قومه ومع فرعون مصر ثم خروجه من مصر إلى أرض مدين ثم تلقيه لوحي السماء واصطفاء الله له برسالته، وقيامه بتبليغ دعوة الله بأمانة ومسئولية وموقف قومه منه والمعجزات التي أيده الله بها وغير ذلك من أدق التفاصيل التي قلما يتحدث الله عنها في نبي آخر، وقد يرجع ذلك إلى إقامة اليهود كجيران لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين في المدينة المنورة فأراد الله أن يعلم رسوله بحقيقة جيرانه من اليهود باعتبارهم أهل مؤامرات وعداء للنبيين من قبل وحتى يأخذ حذره منهم وقد يكون ذلك الاهتمام القرآني بقصة موسى مع اليهود راجعاً إلى ما يدعيه اليهود من أنهم شعب الله المختار وتعاليهم على جيرانهم من العرب وبأن الله قد اختصهم بالنبوة، ولذا فإن القرآن يظهر حقيقتهم أمام الناس كافة وحقيقة مواقفهم العدائية من تلك الرسل.

ولضيق المجال سوف نعرض لبعض المواقف في حياة رسول الله موسى كما جاءت في القرآن الكريم، وما اختصه الله به من نعم.

يبدأ الحديث القرآني عن موسى عندما كان عليه السلام طفلاً وليداً فيظهر مدى عناية الله ورعايته له حيث يقول سبحانه [وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك

---

(١) سفر الملوك الثاني- الفقرات ١٨، ٤.

وجاعلوه من المرسلين](١). فالله تعالى قد الهم أم موسى وألقى فـــى خلدها ونفث فى روعها أن تلقيه فى البحر وهى مطمئنة أن الله سوف يرده إليها مرة أخرى.

يقول ابن كثير إن أم موسى لما وضعته ذكراً ضاقت به ذرعاً وخافت عليه خوفاً شديداً وأحبته حبا زائداً لأنه ولد فى السنة التى يقتلون فيها الولدان فأوصى الله إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم، وذلك أنـــه كـــانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتاً ومهدت فيه مهداً وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته فى ذلك التابوت وسيرته فـــى النيـــل وربطته بحبل، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعته فى ذلك التابوت وأرسلته فى النيل وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطته الجوارى(٢).

وعندما بلغ موسى عليه السلام أشده واستوى أى اكتمل وتم آتاه الله النبوة يقول تعالى [ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً](٣). وهناك عدة تفاســـير لتلك الآية الكريمة منها ماقال به الألوسى من أنه لما قوى جسم موســـى عليـــه السلام واعتدل عقله أتاه الله حكما أى النبوة وعلماً بالدين والشريعة وقيل أيضـــاً أن الحكم يعنى السنة وأن العلم يعنى التوراة، وقيل استوى أى بلغ أربعين ســـنة، والحكم أى الحكمة قبل النبوة وقيل الفقه فى الدين، والعلم أى الفهـــم فـــى قـــول السدى وقيل النبوة، وقال مجاهد الفقه، وقال محمد بن إسحاق أى العلم بما فـــى دينه ودين آبائه وكان له تسعة من بنى إسرائيل يســـمعون منـــه ويقتـــدون بـــه ويجتمعون إليه وكان هذا قبل النبوة(٤).

---

(١) سورة القصص- آية ٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٣ ص٣٨٠.
(٣) سورة القصص -آية ١٤.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبى جـ٧ ص٥١٤٤.

ومهما كان تفسير معنى الحكم والعلم اللذين أتاهما الله موسى عليه السلام فلقد نص القرآن صراحة على أن موسى هو رسول الله قال تعالى [وقال موسى يافرعون إنى رسول من رب العالمين][١]. وقال تعالى [واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً][٢]. ولقد ذكر القرآن الكريم النعم التى أنعم بها على رسوله ونبيه موسى عليه السلام منها أن الله سبحانه قد آتاه الكتاب والفرقان قال تعالى [وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان علكم تهتدون][٣]. ويقول ابن كثير من معنى تلك الآية الكريمة أن الكتاب هو التوراة وأن الفرقان هو ما يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال[٤].

ولقد أرسل الله نبيه موسى وأيده بالمعجزات والبينات الدالات على صدق دعوته وعلى أنه رسول الله وأنه لا إله إلا الله وقد ذكر القرآن الكريم أن من هذه الآيات البينات على صدق دعوة موسى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قال تعالى [فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات][٥]، ومنها العصا التى تحدث عنها المولى سبحانه فى أكثر من موضع وتحدى بها موسى عليه السلام السحرة من قوم فرعون قال تعالى [وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى قال القها ياموسى فألقاها فإذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى][٦]. وهذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة يدل على قدرة الله سبحانه وتعالى وأنه لا يأتى بها إلا نبى مرسل، ومنها كذلك اليد التى يقول الله فى شأنها [وأضمم يدك إلى

(١) سورة الأعراف- آية ١٠٤.
(٢) سورة مريم - آية ٥١.
(٣) سورة البقرة- آية ٥٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ١ ص٩٠.
(٥) سورة الأعراف- آية ١٣٣.
(٦) سورة طه- آيات ١٧-٢١.

جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى][1]، وتلك آية أخرى من آيات الله الكبرى التى أيد بها نبيه ورسوله موسى فكان عليه السلام إذا أدخل يده فى جيبه ثم أخرجها يجدها تتلألأ كأنها فلقة قمر من شدة بياضها ولكن هذا البياض ليس دليلاً على سوء أو أذى كالبرص، قيل "بيضاء من غير برص نوراً ساطعاً يضئ بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً][2].

ومنها فرق البحر وشقه لموسى ومن معه من بنى إسرائيل وإغراق أعدائهم فرعون وجيشه قال تعالى [ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لاتخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من أليم ما غشيهم][3]. وقال تعالى [فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين][4]. فالله سبحانه يذكر هنا إحدى المعجزات والآيات الواضحات على صدق دعوة رسوله والتى تمثل خرقاً عظيماً للعادة حيث أمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر فإذا بالبحر ينفرق وينفلق كل فريق كالجبل الكبير ويظهر فى وسطه طريقاً وأى طريق إنه طريق يابس كأن الماء لم يمسه من زمن طويل يقول ابن كثير وقف موسى ببنى إسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه فضرب البحر بعصاه وقال انفلق على بإذن الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أى الجبل العظيم فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابساً كوجه الأرض[5]، ومن الآيات التى ساقها الله على

---

(١) سورة طه- آية ٢٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبى جـ٦ ص٤٣٦٣.
(٣) سورة طه -الآيات ٧٧- ٧٨.
(٤) سورة الشعراء- الآيات ٦٣-٦٧.
(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٣ ص١٦٠.

يد موسى عليه السلام باستخدام عصاه هو ضربه للحجر فانفجرت منـــه اثنتـــى عشرة عيناً من الماء لكل سبط من بنى إسرائيل عينا يشربون منها قـــال تعـــالى [وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين][(١)]. ويقول تعالى [وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسـلوى كلـوا مـن طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون][(٢)].

وهكذا يسوق الله إلى بنى إسرائيل من المعجزات على يد رسوله موسـى مالم يأت به رسول آخر، فها هو يضرب البحر بعصاه فيتحول إلى طريق يابس مثل الصخر ثم يضرب الصخر بنفس العصا فيتحول إلى ماء جار عذب وتلـك قدرة الله العلى القدير يؤيد بها عباده من الأنبياء والرسل، وقد عبر القرآن الكريم عن المعجزات والآيات البينات التى أيد بها موسى بأن الله قد أجرى على يديـه عليه السلام كل الآيات قال تعالى متحدثا عن فرعون الذى أرسل إليـه موسـى [ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى][(٣)].

تلك كانت بعض الآيات الواضحات التى أيد الله بها موسى عليه السـلام وشاهدها بنو إسرائيل وفرعون وقومه بأنفسهم وبجانب ذلك فهناك من الصفـات والأفعال التى اختص الله به نبيه موسى منها أن الله اصطفاه على الناس برسالته وكلمه فهو كليم الله قال تعالى [قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين][(٤)]. فالله تعالى يذكر أنه خاطب موسى

(١) سورة البقرة- آية ٦٠.
(٢) سورة الأعراف- آية ١٦٠.
(٣) سورة طه- آية ٥٦.
(٤) سورة الأعراف- آية ١٤٤.

بأنه اصطفاه على عالمى زمانه برسالاته وكلامه، وقد كان هذا الكلام من الله سبحانه من قرب من الله سبحانه قال تعالى [وقربناه نجيا][١]. حيث يقول ابن عباس انه قد أدنى حتى سمع صريف القلم ويوضح مجاهد ذلك بأن المقصود أنه سمع صريف القلم بكتابه التوراة وقال السدى أن موسى عليه السلام قد أدخل فى السماء فكلم الله وكلمه[٢].

وقد أنزل الله سبحانه على موسى كتاباً به من كل شئ موعظة وتفصيلاً للحلال والحرام كما قال بذلك ابن كثير فى تفسير قوله تعالى [وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ][٣].

وقد ألقى الله على موسى محبة منه وجعله محبوباً من جميع الناس قال تعالى [وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى][٤]. أى تربى بعين الله ورعايته ويقول تعالى [واصطنعتك لنفسى][٥]. أى اصطفيتك واجتبيتك رسولاً لنفسى أى كما أريد وأشاء.

وقد أثنى الله على نبيه موسى عليه السلام فقال تعالى [واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً][٦]. قال بعض المفسرين مخلصاً بكسر اللام تعنى الإخلاص فى العبادة وقيل أى الذى يعمل لله لا يريد شكراً من أحد على ذلك العمل، وقرأها البعض الآخر بفتح اللام بمعنى أنه كان مصطفى من الله سبحانه وكان رسولاً نبيا جمع الله له بين الوصفين فانه كان من أولى العزم الخمسة وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه

---

(١) سورة مريم- آية ٥٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٣ ص ١٢٣.
(٣) سورة الأعراف- آية ١٤٥.، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٢ ص٢٤٦.
(٤) سورة طه- آية ٣٩.
(٥) سورة طه- آية ٤١.
(٦) سورة مريم- آية ٥١.

عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين[١].

ولقد كانت دعوته عليه السلام قائمة على عبادة الله وحده لاشريك له وتذكير قومه بنعم الله عليهم قال تعالى [وإذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين][٢]. ودعوتهم إلى الاستعانة بالله والصبر على إيذاء فرعون وملأه لهم قال تعالى [قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين][٣]. كما أمره الله أن يخرج قومه من الظلمات إلى النور بدعوتهم إلى عبادة الله الحق فيخرجوا من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان قال تعالى [ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور][٤]. وقد قام موسى عليه السلام بتبليغ كل ما أمره به الله سبحانه وحمل أمانة الدعوة إلى عباد الله سبحانه ورغم ما قام به موسى عليه السلام وما جاء به من الآيات البينات الواضحات فإنه لم يسلم من إيذاء قومه له قال تعالى [يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها][٥].

وقد قيل فى تفسير تلك الآية الكريمة أن موسى عليه السلام قد تعرض لكثير من الأذى من بنى إسرائيل منها أن موسى عليه السلام كان رجلاً حييا يستر كل جسده بثيابه فلا يرى من جلده شئ استحياءاً منه فآذاه من آذاه من قومه بنى إسرائيل فقالوا ما تستر هذا التستر إلا من عيب فى جلده إما برص وإما آفة ما، فبرأه الله من ذلك، وقيل أنه لما صعد موسى وهارون إلى الجبل ومات

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٣ ص١٢٤.
(٢) سورة المائدة- آية ٢٠.
(٣) سورة الأعراف- آية ١٢٨.
(٤) سورة ابراهيم- آية ٥.
(٥) سورة الأحزاب- آية ٦٩.

هارون قال بنو إسرائيل لموسى أنت الذى قتلته فآذوه فى ذلك فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى طافوا به فى بنى إسرائيل ورأوا آية عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم يكن فيه أثر القتل، وقيل أيضا أن إيذاء موسى عليه السلام رميهم إياه بالسحر والجنون فبرأه الله من جميع ذلك[١]، ولذا عندما اعترض رجل من الأنصار على قسمه لرسول الله قال عليه السلام [يرحم الله موسى أوذى بأكثر من هذا فصبر][٢]. ورغم إظهار الله لبراءة نبيه موسى عليه السلام فإنهم استمروا فى إيذاءه فى حياته حتى قال عليه السلام كما يحدثنا القرآن الكريم [وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين][٣]. أى لم تواصلون الأذى إلى وأنتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به من الرسالة، وبعد موته مازالوا مستمرين فى الإيذاء لرسول الله موسى بما يكتب فى أسفار العهد القديم من قولهم أن موسى عليه السلام قد أمرهم أثناء خروجهم من مصر بسرقة حلى وأموال المصريين، حاشا لكليم الرحمن الذى اصطنعه الله لنفسه أن يأمر بمثل هذه الأفعال الشائنة، ولو كان يريد سرقتها أو الأمر بذلك لما دعى الله سبحانه أن يطمس على حلى وأموال آل فرعون قال تعالى [وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون][٤]. فقد دعا موسى ربه أن يطمس على أموال فرعون أى يجعلها حجارة وقد استجاب الله لذلك الدعاء الذى لم يصدر من موسى عليه السلام إلا غضباً منه لله ولدين الله على فرعون وملأه بعد أن تبين له أنه لاخير فيهم فقد أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبى جـ٨ ص٥٥١٩.
(٢) صحيح البخارى جـ٤ ك الأنبياء، باب حدثنى اسحاق بن نصر ص١٩١.
(٣) سورة الصف- آية٥.
(٤) سورة يونس -الآيات ٨٨-٨٩.

وكفرهم معاندين جاحدين ظلماً وعارا أو تكبراً وعتواً.

ولكنها أسفار العهد القديم التي لم ترع لنبي حقه ومكانته حتى موسى عليه السلام أما الإسلام دين الحق فإنه يأمر أتباع نبيه صلى الله عليه وسلم بالإيمان بجميع الأنبياء رسل الله ومنهم موسى قال تعالى [قولوا آمنا بالله وما أنزلَ إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون][١].
بل ويأمر خاتم الرسل وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان بذلك قال تعالى [قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون][٢].

وقد ورد في حق موسى عليه السلام بعض الشبهات التي تقدح في عصمته نذكر منها ما يلي:

الشبهة الأولى: ماورد في قوله تعالى [فوكزه موسى فقضى عليه][٣].
قالوا: قتله للقبطي لم يكن بحق، ولم يكن على سبيل الخطأ، وإنما كان متعمداً، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى [هذا من عمل الشيطان]، وقوله تعالى [رب إني ظلمت نفسي]، وقوله تعالى [فعلتها إذن وأنا من الضالين].

والجواب عن ذلك أنه كان قتل خطأ فلم يقصد قتله، وإنما قصد دفعه بعيداً عن الإسرائيلي فمات من قوة الدفعة وكان ذلك قبل البعثة[٤].

الشبهة الثانية: إذنه للسحرة في إظهار السحر بقوله [ألقوا ما أنتم

---

(١) سورة البقرة- آية ١٣٦.
(٢) سورة آل عمران- آية ٨٤.
(٣) سورة القصص- آية ١٥.
(٤) شرح المقاصد، جـ٥ ص٥٥. المواقف، ص ٣٦٢.

ملقون](١).

والجواب عن ذلك: إن إذنه للسحرة فى إظهار السحر ليس رضاء به بـل الغرض إظهار ابطاله وإظهار معجزته ولا يتم إلا به، وقيل أن إظهار السحر فى ذلك الوقت لم يكن حراماً(٢).

الشبهة الثالثة: قوله تعالى [وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه](٣). قالوا هذه معصية أن يأخذ بلحية أخيه وهو نبى مثله ولا ذنب له.

والجواب عن ذلك: لم يكن ذلك على سبيل الايذاء، بل كان يدنيه إلى نفسه ليتفحص منه حقيقة الحال، فخاف هارون أن يعتقد بنو اسرائيل خلافه لسوء ظنهم بموسى(٤).

هارون عليه السلام

أما عن هارون عليه السلام فقد اتهمه كاتب التوراة المحرفة بخيانة الرب وخيانة موسى أخيه، فترك أخاه يذهب إلى الجبل ليتلقى الهداية من ربه، فاستغل الفرصة وصنع لبنى إسرائيل عجلاً ذهباً صنما وأمرهم بعبادته، وعبـده معبـد، وبنى له مذبحاً وعيدّ له عيداً.

فقد جاء فى سفر الخروج "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لانعلم ماذا أصابه، فقـال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم واتونى بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلـك

(١) سورة الشعراء- آية ٤٣.
(٢) شرح المقاصد. جـ٥ ص ٥٦.
(٣) سورة الأعراف- آية ١٥٠.
(٤) الفصل. لابن حزم جـ٤ ص١٢.

من أيديهم، وصوره بالأزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هــذه آلهتــك يــا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحــاً أمامــه، ونادى هارون وقال غدا عيد للرب فبكروا فى الغد واصعدوا محرقات وقدمــوا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب"[١].

لقد سجلت التوراة المحرفة على هارون قصة عبادة بنى إسرائيل للعجــل الذهبى وأنه شاركهم فى ذلك وهذه القصة تدل على أن محررى هــذه الأسـفار لايرعون لأنبيائهم حرمة، ولا يرجون لهم وقاراً ولا يتورعون عــن أن ينسـبوا إليهم أية نقيصة، حتى خيانة الرسالة نفسها التى بعثوا من أجلها ودفع قومهم إلى الشرك بالله. فقد نسب هذا السفر إلى هارون نفسه عليه السلام أنه يســر لبنــى إسرائيل سبيل الشرك، ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام، فصنع لهم بيديه فى سيناء عجلاً من ذهب ليعبدوه من دون الله ونصب نفسه كاهناً له فبنى له مذبحاً وجعل له فى الغد عيداً، ومعاذ الله أن يكون هارون النبى كذلك.

أما هارون عليه السلام فقد ارتبطت قصته فى **القرآن الكريــم** ارتباطــاً وثيقاً بقصة أخيه موسى عليه السلام ونادراً ما يتحدث القرآن الكريم عن هارون بمفرده وحتى لايكون فى حديثنا تكرار لما سبق الحديث عنــه فى قصة موســى عليه السلام فى القرآن فسوف نقدم لبعض المواقــف باختصار التى توضح نظرة القرآن الكريم إلى هارون عليه السلام، فالقرآن الكريم يوضح أن هارون نبى من أنبياء الله الكرام قال تعالى مذكراً بنعمته سبحانه على موسى [ووهبنا لــه مــن رحمتنا أخاه هارون نبياً][٢]. فقد أجاب الله سؤال موسى وشفاعته فى أخيه فجعله الله نبيا، ذلك لأن موسى عليه السلام كان قد دعى ربه أن يرســل معــه أخــاه هارون لأنه أفصح منه لساناً وكى يكون مؤنساً له فى الدعوة إلى اللــه والقيــام

---

(١) سفر الخروج - الفقرات ٣٢، ١-٦.
(٢) سورة مريم- آية ٥٣.

بأعباء النبوة والرسالة ومعضداً له فى دعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله قـــال تعالى على لسان موسى عليه السلام [وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون](١). وقد استجاب الله لدعوة موسى فبعث معه هارون وزيراً أى نبياً مؤازرا ومؤيداً وناصراً قال تعالى [واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمـــرى](٢). وقال تعالى [آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا](٣)، ولهذا قـــال بعض السلف ما شفع أحد فى أحد شفاعة فى الدنيا أعظم من شفاعة موسى فـــى هارون أن يكون نبيا(٤).

وهارون ليس نبيا فحسب بل هو رسول كذلك قال تعالى [ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين](٥). أى أرسلهما إلى فرعون بالآيات والحجج الواضحات والبراهين القاطعات على صدقهما، وما ينطبق على موسى ينطبـــق كذلك على هارون عليهما السلام من أن الله قد أتاهما كتاباً هو التوراة قال تعالى [ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقيـــن](٦)، قيـــل أى أتاهمـــا التوراة موضحاً بها الحلال والحرام ومفرقاً فيها بين الحـــق والبـــاطل وتذكـــرة وعظة للمتقين، وقيل الفرقان أى النصر على الأعداء فيكون المعنى ولقـــد آتينـــا موسى وهارون النصر والتوراة التى هى الضياء والذكر(٧). ولذلك فعندما تيقـــن سحرة فرعون من صدق دعوة موسى وهارون عليهما السلام وأنهم أمام رسولين

---

(١) سورة القصص- الآيات ٣٤-٣٥.
(٢) سورة طه - الآيات ٢٩-٣٢.
(٣) سورة الفرقان- آية ٣٥.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٣ ص ١٢٥.
(٥) سورة المؤمنون- آية ٤٥.
(٦) سورة الأنبياء- آية ٤٨.
(٧) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبى جـ٦ ص٤٤٧٣.

من رسل الله القادر على كل شئ أعلن السحرة إيمانهم برب موسى وهارون معا مما يدل على مشاركة هارون لموسى فى الدعوة إلى الإيمان بالله قال تعالى [قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون](١).

وعندما ذهب موسى لميقات ربه طلب من أخيه هارون أن يخلفه فى بنى إسرائيل يصلح بينهم ويذكرهم بعبادة الله وحده قال تعالى [وقال موسى لأخيه هارون أخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين](٢).

فحين أراد موسى المضى للمناجاة والمغيب فيها قال لأخيه هارون كن خليفتى وأمر بالإصلاح قال ابن جريج: كان من الإصلاح أن يزجر السامرى ويغير عليه، وقيل أى أرفق بهم واصلح أمرهم واصلح نفسك أى كن مصلحا(٣).

وكما حرفت أسفار العهد القديم وأساءت إلى رسل الله أساءت كذلك إلى هارون عليه السلام، ومن ذلك قصة طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلهاً يحسونه والتى ذكرها سفر الخروج فى حادث العجل زاعما أنهم قد طلبوا ذلك إلى هرون وأن هارون قد أذعن لرغبتهم الآثمة، وهذه القصة ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح، فقرر أن الطلب كان موجها إلى موسى نفسه لا إلى هارون، وأن موسى قد نهرهم وبين لهم ضلالهم وسخافة تفكيرهم وسوء فهمهم لذات الآلهة، وذلك إذ يقول [وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلاها وهو فضلكم على العالمين](٤). فبين موسى لهم أنهم يجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن

(١) سورة الأعراف- الآيات ١٢١-١٢٢.
(٢) سورة الأعراف- اية ١٤٢.
(٣) الجامع لأحكام القران، تفسير القرطبى جـ٤ ص٢٨٠٧.
(٤) سورة الأعراف- الآيات ١٣٨-١٤٠.

ينزه عنه من الشريك والمثل[١].

أما قصة العجل التى زعم كتاب أسفار العهد القديم أن نبى الله هارون هو الذى صنع لهم عجلاً ليعبدوه فقد أشار القرآن الكريم إلى قصة هذا العجل إشارة مجملة فى عدة آيات منها قوله تعالى [ولقد جاءكم موسى بالبينـــات ثـــم اتخذتـــم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خـــذوا مـــا آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين][٢].

وذكر القرآن تفاصيل هذه القصة فى سورتى الأعراف وطه مبينا كذب ما نسبه محررو سفر الخروج إلى هارون فقرر أن الذى قام بصنـــع هـــذا العجـــل وأغراهم بعبادته وفتنهم عن دينهم فى أثناء غياب موسى لتلقى الألـــواح رجـــل سامرى، أى منسوب إلى طائفة يقال لها السامرة وهى جماعة مـــن غـــير بنـــى إسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالإسرائيليين وأن هارون لم يأل جهداً فـــى نهيهم عن ضلالهم والعمل على إرجاعهم إلى دينهم الحق، ولكنهم لـــم يســـتمعوا إليه، وأن كل ما أخذه موسى على هارون أنه لم يتركهم ويلحق بـــه ليبلغـــه مـــا انتهوا إليه، أو لم يقاتلهم بمن عسى أن يكون معه، وأن هارون قد برر موقفه بأنه خشى إذا فعل ذلك أن يفرق بين بنى إسرائيل ويضرب بعضهم ببعض، وذلك إذ يقول الله تعالى [فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلاً جسداً له خـــوار][٣]. أى جعل من الحلى التى أخذوها من المصريين وصهرها السامرى علـــى صـــورة عجـــل بداخل فمه تجاويف إذا مر فيها الهواء أحدث صوتاً كصوت الخوار، قال تعالى [فقالوا هـــذا إلاهكم وإله موسى فنسى أفلايرون ألا يرجع إليهم قـــولاً ولا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٢ ص٢٤٣.
(٢) سورة البقرة- الآيات ٩٢-٩٣.
(٣) سورة طه- الآيات ٨٧-٨٨.

يملك لهم ضراً ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى][1].

ويقول الله تعالى فى سورة الأعراف [واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سُقِط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين قال رب اغفر لى ولأخى وادخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين][2].

هذه هى قصة العجل كما جاءت فى القرآن الكريم ومنها يتبين مدى افتراءهم على نبى الله هارون عليه السلام الذى يذكر الله سبحانه نعمه وأفضاله التى امتن بها على موسى وهارون فى قوله تعالى [ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزى المحسنين إنهما من عبادنا

---

(١) سورة طه- الآيات ٨٨-٩٤.

(٢) سورة الأعراف- الآيات ١٤٨-١٥٢.

المؤمنين](١). فالله سبحانه أنعم على موسى وهارون بالنبوة والنجاة بمـــن آمـــن معهما من بطش فرعون وقومه ثم نصرهما الله ومن معهما من المؤمنين علـــى فرعون وملئه وأنزل الله عليهما الكتاب وهو التوراة وهداهمـــا إلـــى الصـــراط المستقيم في الأقوال والأفعال وترك من بعدهما ذكراً جميلاً وثناءاً حسنا فانهمـــا من عباد الله المؤمنين(٢).

داود عليه السلام

أما عن النبى داود فقد حرص كتاب العهد القديم على إثبات أنه لـــم يكـــن إسرائيلياً خالصا فهو ينحدر من جهة أمه من موآب ونقاء النسب من جهـــة الأم خصوصاً قضية بالغة الأهمية فى التراث اليهودى، فلا يعتبر يهودياً خالصـــاً. أو لا يعد يهودياً مطلقاً من كانت أمه غـــير يهوديـــة، وجـــدة داود عليـــه الســـلام (راعوث) موآبية.

ويبدو أن واضعى كتب العهد القديم كانوا فى غاية الحرص علـــى إثبـــات ذلك وتقريره، وقد دفعهم حرصهم على كتابة سفر قائم بذاته وقفه على بيان هذا النسب وتفصيله(٣).

وخلاصة القول تنحصر فى أن نسب داود عليـــه الســـلام مطعـــون فـــى اسرائيليته، بل مطعون فى شرفه وحصانته فى ذات الوقت.

ويبدو جليا أن واضع أسفار العهد القديم يحرص على تلطيخ شـــرف داود عليه السلام الذى جمع الله له النبوة والملك معاً، فوصمه بأحط الرذائل وأفحشها، ولم يكتف من اتهامه بأنه سليل زنى، فتحدث عـــن بيت داود وصوره على أنـــه

---

(١) سورة الصافات- الآيات ١١٤-١٢٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٤، ص١٩.
(٣) سفر راغوث، الاصحاح الأول إلى الاصحاح الرابع.

زنى وفسوق وفجور!! لا على أنه بيت نبوة. فها هم أولاده يزنـــــون بـــأخواتهم ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين جميع الشعب، فأمنون ابنه يزنـــى بأختـــه ثامار[1]، وبشالوم ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك، فيدخل على نساء أبيه أمام جميع إسرائيل[2].

هذا عن بيت داود عليه السلام أما عن داود نفسه فقد صوره العهد القديـــم فى أبشع وأفحش صورة فقد جاء فى سفر صموئيل الثانى: "وكان عند تمام السنة فى وقت خروج الملوك أن داود ارسل يوآب وعبيـــده معـــه وجميـــع إســـرائيل فأخرجوا بنى عمون وحاصروا ربه. وأما داود فأقام فى أورشليم. وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى مـــن علـــى السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عـــن المرأة فقال واحد أليست هذه بششبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثى. فأرســـل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت أنى حبلى. فأرسل داود إلـــى يوآب يقول أرسل إلى أوريا الحثى. فأرسل يوآب أوريا إلـــى داود. فأتى أوريـــا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيـــت الملـــك وخرجـــت وراءه حصة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد ســـيده ولـــم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك. فقال أوريا لداود أن التابوت وإسرائيل، ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلـــــون علـــى وجـــه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل واضطجع مع امرأتى. وحياتك وحيوية نفســـك لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضاً وغدا أطلقك. فأقام أوريا

(١) سفر صموئيل الثانى -الفقرات ١٣: ١-٢٢.
(٢) سفر صموئيل الثانى -الفقرات ١٦: ٢٠-٢٣.

فى أورشليم ذلك اليوم وغده.

ودعاه داود فأكل أمامه وشرب واسكره. وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده والى بيته لم ينزل.

وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا. وكتب فى المكتوب يقول اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى أيضا. فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب. وأوصى الرسول قائلاً عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب. فإن اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال أما علمتم أنهم يرمون من على السور. من قتل أبيه مالك بن يربوشت. ألم ترمه امرأة بقطعة حى من على السور فمات فى تاباحى. لماذا دنوتم من السور. فقل مات عبدك أوريا الحثى أيضاً.

فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب. وقال الرسول لداود قد تجبر علينا القوم وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب. فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك ومات عبدك أوريا الحثى أيضاً. فقال داود للرسول هكذا تقول ليوآب. لا يسوء فى عينيك هذا الأمر لأن السيف يأكل هذا وذلك. شدد قتالك على المدينة وأخربها وشدده.

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا. وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب[1].

---

(١) سفر صموئيل الثانى، الاصحاح الحادى عشر- الفقرات ١-٢٧.

ويجدر بنا هنا أن نقف أمام سياق الإصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى وذلك لورود أخبار بين سياقه لا تتفق والروح العام الذى يرينا إياه كاتب الإصحاحات متعلقا بنبى الله داود وذلك أن هذه الأخبار التى ذكرها كاتب الإصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى تضعنا أمام سؤال هو لماذا معظم الأنبياء الكبار فى العهد القديم يقترن سيرتهم أو سيرة نسائهم أو بناتهم بهذه الجريمة التى يكثر الحديث عنها وهى جريمة الزنا مع أن سفر (التثنية) والمتعبر عند اليهود سفر الشريعة قد حذر من هذه الجريمة ووضع لها حدوداً رادعة.

ومع ذلك فكتاب العهد القديم يحلو لهم دائماً أبداً أن ينسبوا إلى جميع أنبياء العهد القديم أو معظمهم الوقوع فى هذه الخطيئة، بادئ ذى بدء نحب أن نقرر أن سفر التثنية فى الإصحاح الثانى والعشرين وضع ضوابط وقواعد رادعة لهذه الجريمة ومع ذلك لم يحدثنا كتاب العهد القديم على طول أسفاره أن هذه الضوابط والقواعد والحدود قد طبقت يوما على من اقترف هذه الجريمة فى بيت إسرائيل.

ويجدر بنا أن نذكر بعض هذه الضوابط أو الحدود كما جاءت فى الفقرة الثانية من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية تقول (لايدخل ابن زناء فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لايدخل أحد منه فى جماعة الرب).

هذا هو ما قررته الشريعة فى سفر التثنية عن حكم الزنا فى إسرائيل فما بال كاتب الإصحاح الحادى عشر فى سفر صموئيل الثانى ينسب إلى نبى الله داود القيام بهذه الجريمة وفى أبشع صورها لافى حقل ولا فى طرقات المدينة، ولكن فى بيت الزوجية تنزع المرأة من بيتها فى غيبة رجلها المقاتل الشجاع فى خدمة سيده الملك النبى وتتم جريمة الزنا على ملأ ومسمع ممن أشار إليهم كاتب الإصحاح بأنهم عاونوا على القيام بهذه الجريمة، وحين تتم وتبدأ أثمارها تملأ جميع إسرائيل لا أحد يطالب بتطبيق شريعة الله التى تحدث عنها كاتب سفر

التثنية[١].

والواقع أن كتاب العهد القديم ينظرون إلى هؤلاء الأنبياء على أنهم حكاماً وملوكا وليسوا أنبياء بالمفهوم الإسلامى لذلك يغفر لهم مالا يغفر للشعب.

أما داود عليه السلام فى **القرآن الكريم** فهو يمثل بداية مرحلة هامة فى تاريخ بنى إسرائيل فقد بدأ ظهوره فى فترة مهانة لبنى إسرائيل حيث أغار عليهم الغزاة فقتلوا منهم خلقاً كثيرا وسبوا نساءهم ويتموا أطفالهم واحتلوا ديارهم فجاءوا إلى نبى لهم طالبين منه أن يبعث لهم ملكاً تكون له القيادة والزعامة ويجمع كلمتهم لقتال الأعداء الذين أذلوهم وقتلوا منهم الكثير قال تعالى [ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبناءنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا آني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم][٢]. وبعد جدال كثير من بنى إسرائيل مع نبيهم سار طالوت بالجنود لحرب الأعداء وأراد أن يختبر عزم هؤلاء الجند ومدى استعدادهم للحرب فقال لجنوده [إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم][٣]. وهكذا أظهر الكثير من هؤلاء الجند عدم استعدادهم للحرب، فسار طالوت بالقلة التى لم

(١) التراث الإسرائيلى فى العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، د. صابر طعيمه ص٤٩٩، ص٥٠٠.

(٢) سورة البقرة- الآيات ٢٤٦-٢٤٧.

(٣) سورة البقرة- اية ٢٤٩.

تشرب من النهر ولكن كان يوجد بين هذه القلة من ضعف إيمانه فقالوا [لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده][١]. وكان من بين الفئة التى قوى إيمانهم داود الذى خرج من بين الجيش لمبارزة جالوت وتمكن بفضل الله وعونه من قتل جالوت قال تعالى [وقتل داود جالوت][٢]. وهكذا يعتبر داود من الذين كان لهم فضل انتصار بنى إسرائيل على أعدائهم وتخلصهم من عبودية الهزيمة.

هذا هو موقع داود فى تاريخ بنى إسرائيل قبل أن يتلقى وحى السماء وقبل أن يتشرف بحمل أمانة الدعوة إلى عبادة الله وحده، ويقص علينا القرآن الكريم نعم الله التى أفاء بها على عبده داود قال تعالى [وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء][٣]. فقد كان داود نبيا ملكا أتاه الله الملك الذى كان فى يد طالوت والحكمة أى النبوة وعلمه مما يشاء من العلوم التى لايعرفها سوى الله سبحانه وتعالى ولا شك أن النبوة هى أفضل نعم الله وأعظمها على عبده حيث أوحى الله إليه وآتاه كتاباً وهو الزبور قال تعالى [إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا][٤]، ومن نعم الله أيضاً على داود أن الله قد سخر معه الجبال تسبح بحمد الله كلما سبح داود قال تعالى [إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق][٥].أى تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، وكذلك الطير فقد كانت تسبح معه قال تعالى [وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين][٦].

(١) سورة البقرة- آية ٢٤٩.
(٢) سورة البقرة- آية ٢٥١.
(٣) سورة البقرة- آية ٢٥١.
(٤) سورة النساء- آية ١٦٣.
(٥) سورة ص- أية ١٨.
(٦) سورة الأنبياء- آية ٧٩.

ويقول سبحانه [ولقد آيتنا داود منا فضلاً يا جبال أوبى معه والطير][1]. قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى [أوبى] رجعى فى التسبيح كلما رجع فيه وهذا أمر يدل على عظيم شأنه وكبير سلطانه حيث جعل الجبال تنقاد لأمره فى نفاذ مشيئته وهذا فضل من الله[2]، ويقول سبحانه [والطير محشورة كل له أواب][3]. فالطيور مجموعة فى الهواء مطيعة لداود تسبح تبعاً له فهى تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه فإذا مر به الطير وهو سابح فى الهواء فتسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور فلا تستطيع الذهاب بل تظل مجموعة وواقفة فى الهواء تسبح مع نبى الله داود ويرجع ذلك إلى ما وهبه الله من جمال الصوت وخشوع فى التسبيح، عن أبى موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى موسى الأشعرى "لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"[4]. كما أنعم الله على عبده داود فألان له الحديد وجعله فى يده لينا سهل التشكيل فصنع منه آنية والدروع المسردة أى ذات الحلق من الحديد كل ذلك بيده فكان معجزة وأمراً خارقا للعادة قال تعالى [وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد][5]، وقد كان عليه السلام يصنع الدروع من الحديد بغير حاجة إلى إدخاله النار ولا ضربه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط[6]. فلو كان يعمل الدروع بواسطة النار لم يكن فى ذلك امتناناً من الله عليه إذ كل الناس يعملون كذلك، وقد كانت الدروع التى يصنعها داود بمثابة معجزة فى زمانه حيث كانت تتيح للمحارب حرية الحركة ولهذا يذكرنا الله سبحانه بما أنعم به على داود

---

(١) سورة سبأ- آية ١٠.
(٢) تفسير البيضاوى، جـ٣ ص١٤٦.
(٣) سورة ص- آية ١٩.
(٤) صحيح مسلم، جـ٢ ك فضائل القرآن ب، استجباب تحسين الصوت بالقرآن ص١٩٣.
(٥) سورة سبأ - الآيات ١٠-١١.
(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، جـ٣ ص٥٢٦.

فقال تعالى [وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون][١].

ولم يقف فضل الله على داود على إيتائه الملك بل جعله ملكاً شديداً قوياً قال تعالى [وشددنا ملكه][٢]. أى جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك لدرجة يعتبر معها أشد أهل الدنيا سلطانا، ويستمر القرآن الكريم فى سرد نعم الله التى أنعم بها على داود فيقول سبحانه [وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب][٣]، وقد أورد ابن كثير[٤] فى تفسيره لتلك الآية عدة معانى للحكمة منها أن الحكمة تعنى الفهم والعقل، ومنها العدل، ومنها الصواب، ومنها النبوة وكتاب الله واتباع ما فيه، وأما فصل الخطاب فيعنى إصابة القضاء وفهم ذلك، وتمييز الحق عن الباطل، كما أمده الله بالقوة فقال تعالى [واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب][٥]. أى ذا القوة فى العلم والعمل أو القوة فى الطاعة والعبادة، وفى هذا المجال ورد حديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم "أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوماً وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه". وفى رواية أخرى له "ولا يفر إذا لاقى"[٦].

هذه بعض نعم الله التى أنعم بها على عبده ونبيه داود عليه السلام وهذه كانت أهميته فى انتصار بنى إسرائيل على أعدائهم ورغم ذلك لم يسلم من إيذاء وإهانات وافتراءات كتاب أسفار العهد القديم فصوره فى صورة خالية من الإنسانية صوره يندى لها جبين أى رجل ذى خلق من أنه تآمر على جاره

---

(١) سورة الأنبياء- آية ٨٠.
(٢) سورة ص- اية ٢٠.
(٣) سورة ص- آية ٢٠.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، جـ٤، ص٢٠.
(٥) سورة ص- اية ١٧.
(٦) صحيح البخارى، جـ٤، كتاب الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، ص١٩٦.

وأرسله إلى ميدان الحرب ليُقتل حتى يستطيع أن يأخذ زوجته لنفسه، ولقد وقـــع بعض مفسرى القرآن الكريم فى هذا الخطأ واستعانوا بالقصص المـــأخوذة مـــن الإسرائيليات فى تفسير ماجاء فى سورة (ص) قال تعالى [وهل آتاك نبوء الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغـــى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى ســـواء الصـــراط إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيهـــا وعزنـــى فـــى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وأن كثيراً من الخلطاء ليبغـــى بعضهم علـــى بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظـــن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن لـــه عندنـــا لزلفـــى وحسن مآب][1].

فقد ذكر بعض المفسرين[2] أن النعجة التى ذكرت فى القصة يقصـــد بهـــا المرأة مع أن عبارات القرآن الكريم لاتدل صراحة على شئ من ذلك، فإن ألفاظ القرآن أعف من أن تكنى عن المرأة بنعجة فليس فـــى القرآن ما يشير إلى هـــذه الكنية، ولقد ركز هؤلاء المفسرون على قول الله تعالى [وظن داود إنمـــا فتنـــاه] فقالوا أن الفتنة هنا هى ماقام به نحو جاره أوريا وزوجته ونحن ننزه أنبياء اللـــه عن ذلك فكيف يسوغ فى العقول الصريحة والفطن المســـتقيمة أن تفســـر هـــذه الآيات بما جاء فى العهد القديم مما سقناه سابقاً من أن داود قد اعتدى على زوجة جنده أوريا ثم قتله وضمها إلى نسائه ثم أنجب منها سليمان عليه الســـلام، ولقـــد دست هذه القصة الاسرائيلية فى بعض كتب التفسير[3] .

ولعل التفسير الأرجح هو أن داود رأى أنه أسرع بـــالحكم قبـــل ســـؤال

---

(١) سورة ص- الآيات ٢١-٢٥.
(٢) المصحف المفسر، محمد فريد وجدى، ص٥٩٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٤ ص٣١.

المدعى عليه وهو ركن أساسي فى صحة الحكم. أنظر إلى ما يقصه اللـــه فـــى كتابه العزيز من مشاهد يوم القيامة عندما يسأل عيسى عما إذا كان قد قال للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله، ورغم أن الله سبحانه وتعالى علام الغيـــوب إلا أنه يسأل عيسى عن ذلك ويخبرنا به كى يعلم كل من تولى مهمة الحكم بيـــن متخاصمين أن يسأل كل منهما وألا يكتفى بسؤال أحدهما دون الآخر قال تعـــالى [وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلاهين مـــن دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقـــد علمتـــه تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب](١).

لذلك فقد علم داود أنه قد تجاوز الحق عندما نطق بالحكم قبل سماع وجهة نظر الخصم الآخر [فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب]، وقد يكون الاستغفار لغيره فقد كان أولئك المتسورين المقتحمين عليه داره عازمين على النيل به والاستغفار للغير جائز، وقد يكون استغفار داود لنفسه وذلك لأنه حين تسور القوم عليه داره ظنهم يقصدون قتله فلما ظهر الأمر له استغفر عن ظنه(٢). ولذلك فقد قال علـــى رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصـــاص جلدتـــه مائـــة وستين جلده وحد القذف العادى فى الإسلام ثمانون جلدة ولكن إذا تناول القـــذف نبياً كريما كان مرتكبه خليقا بأن يضاعف له هذا الحد ضعفين(٣).

فلا يجوز أن نردد افتراءات كتاب العهد القديم التى لا تليق بمقـــام داود عليه السلام الذى يقول الله فيه [نعم العبد إنه أواب] ويقول أيضا [وأن له عندنـــا لزلفى وحسن مآب]، ويقول سبحانه كذلك [وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب]، وبعيد عن الحكمة أن يكون الحكيم فاسقاً قائلاً من غير حق ولا برهان، وليس الفســـق

---

(١) سورة المائدة- آية ١١٦.

(٢) الفصل. جـ٤ ص ١٤، ص١٤.

(٣) تفسير القرطبى، جـ٨ ص٥٨٢٢.

والقتل من صفات الشخص الأواب الدائـم الرجوع إلى ربه الشاكر لما أنعم الله عليه من نعم لا يحظى بها سواه فقد ألان الله له الحديد وعلمه صنعـة الـدروع المسرودة لتحصن الناس من البأس وغيرها من نعم الله التى لا تحصى ولا تعد.

سليمان عليه السلام

أما عن النبى سليمان فيتحدث الإصحاح الثانى من سفر الملوك الأول عن الأسس العامة والمبادئ التى تمت فى أعماق سليمان ووجدانه منذ غرسـها فـى قلبه الأب النبى الرسول داود عليه السلام ولما جاء المسجل لسفر الملـوك الأول لم يستطع إغفال هذه المعانى أو إهمال التعبير عنها فجاء بين ثنايـا مـا كتـب عبارات أو دلالات تتعلق بأخلاق النبوة والأنبياء عندهم ولا بأس بها، فماذا قـال سفر الملوك الأول: (ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمان ابنه قائلاً أنا ذاهب فى طريق الأرض كلها فتشدد وكن رجلاً احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير فـى طرقه وتحفظ فرائضه ووصياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب فـى شـريعة موسى لكى تفلح فى كل ما تفعل وحيثما توجهت. لكى يقيم الرب كلامه الذى تكلم به عنى قائلاً إذا حفظ بنوك طريقهم وسلكوا أمامى بالأمانة من كل قلوبهم وكـل أنفسهم قال لايعدم لك رجل عن كرسى إسرائيل)[١].

ثم أصبحت هذه المعانى الدينية التى روتها أسفار العهـد القديـم ميراثـاً متداولاً لكن لايعمل به ولا يهتم به وأراد كاتب الأسفار فى هذه المرحلة أن ينهى إلينا أن سليمان دخل دائرة النبوة والهداية بلغة العهد القديم فى إصحاحات سـفر الملوك ليمارس دوره من تاريخ بنى إسرائيل بهذا المدخل إلى أن أصبح سليمان يسلك كثيراً من أمور الحياة العامة على هدى من حكمة الله كما يقـص العهـد القديم عنه من خلال الموقف الذى جاء فيه إلى سليمان امرأتان وكل واحدة منهما تتصارع فى أحقيتها بطفل رضيع بدعوى أنهما معا ولدت كل منهما ولداً، وبالنيل

(١) سفر الملوك الأول، الاصحاح الثانى -الفقرات ١-٥.

اضطجعت إحداهما على ولدها فمات فجاءت واحدة منهما إلى الثانيـــة النائمــة وأخذت الولد من جانبها دون أن تحس بها ووضعت الطفــل الميــت بجوارهــا، وعليها ما بدأت كل واحدة منهما تدعى أمومتها للولد الحى، وأخـــيراً حسبمـــا يروى كاتب الإصحاح الثالث من سفر الملوك الأول ويقص بأن سليمان قد وضع اختباراً لمعرفــة الحقيقة فقال: ايتونى بسيف، وطلب أن يشطروا الولد الحى إلى نصفين ليعطوا لكل واحدة نصفه، وأمام هذا القرار صرخت المرأة التى هـــى أم للولد الحى، وقالت لاتفعل ياسيدى أعطوها الولد الحى ولا تميتوه وأما المدعيـــة فقالت فى عناد لايكون لى ولا لك اشطروه فأجاب الملك وقال أعطوهـــا الولـــد الحى ولا تميتوه فإنها أمه وطرد المدعية، وعلى حد نص كاتب الأسفار (..ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذى حكم به خافوا الله، لأنهم رأوا حكمة اللـــه فيـــه لإجراء الحكم)[1].

ونحن نجد بين فقرات سفر الملوك البقية الباقية من آثار النبوة فيما حفظوه من تراث النبوة الذى ظهر بين ثنايا لغة كاتب الأسفار لكنه فى العهد القديم بوجه عام تتوه أو تختفى هذه المظاهر أمام الكثرة الكثيرة من مجموعة الحوادث التـــى ساقها كتاب العهد القديم.

هذا ويطالعنا الإصحاح الحادى عشر من سفر الملـــوك الأول أن ســـليمان أقام ملكاً ومجداً وتفرغ للغزو والتوسع رغم أن كاتب الفقرات الأولى مـــن هـــذا الإصحاح يرينا نبى الله عليه السلام فى صورة لا تليق ولا تعاون على التفـــرغ لإنجاز ما يدعى من سيادة وسيطرة وتوسع، ذلك أنه أرانا نبى الله عليه الســـلام وهو أبعد ما يكون عن أن يقع فيما تخيله كاتب الأسفار وما ادعاه على نبى اللـــه أرانا نبى الله يقع فى حب نساء غريبة وكثيرة من الأمم الذين قيل عنهم فى العهد القديم: (لاتدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكـــم وراء آلهتهـــم

(١) سفر الملوك الأول، الاصحاح الثالث- الفقرات ١٦-١٨.

فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه. وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورث آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشرفى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله إسرائيل الذى ترائى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لايتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب)[١].

ويريد كاتب الإصحاح الحادى عشر أن يقدم لنا نبى الله بعد كل ما ادعاه عليه من مجد وسلطان وسيادة وتوسع مرتداً يعبد الآلهة المختلفة على حد ما ادعى كاتب العهد القديم، والغريب أن كاتب نفس الإصحاح الحادى عشر يطالعنا فى سيرة سليمان بجوانب سياسية أهم من هذه المفتريات التى كثيراً ما رأينا كتاب العهد القديم ينسبونها إلى أنبياء الله ورسله.

ويعلق "ول ديورانت" على أخبار سليمان التى جاءت فى الكتاب المقدس فيقول: ولما فرغ سليمان من إقامة ملكه شرع يستمتع به وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل ولشدة ما يلومه كتاب أسفار التوراة على شهامته إذ أقام مذابح للآلهة الخارجية التى كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات[٢].

(١) سفر الملوك الأول، الاصحاح الحادى عشر- الفقرات ١-١٠.
(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت جـ٢ ص٢٣٧.

فسليمان حسب افتراءات العهد القديم قد استهان بالرب وتعاليمه الصريحة القاضية بعدم التزوج من هذه القبائل حتى لا تميل قلوب شعب إسرائيل إلى أوثانها وأرجاسها. فتحدى سليمان هذه النواهى وتعدى حدود الله وتزوج منها ليس زوجة أو اثنتين لكن سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية!!

فلم يكن قلب سليمان خالصاً مع الرب.. فهو لم يحفظ عهده وفرائضه ووصياه، واشرك به أوثان القبائل الأخرى وأرجاسها!! فينزل سليمان عند رغبات زوجاته الوثنيات ونزواتهن، فيبنى لآلهتهن بيوتاً وهياكل مقابل هيكل الرب فى أورشليم (مع ملاحظة أن الذى بنى هيكل الرب فى أورشليم هو سليمان نفسه عليه السلام حسبما جاء فى كتبهم)، ويذبح لها ويوقد ويتقرب، إلى أن غضب الرب عليه فذكره وأوصاه وحذره مرتين من مغبة هذا التصرف الشائن!! بيد أن سليمان عليه السلام -عند واضع العهد القديم- يتمادى فى فعل الشر فى عينى الرب ولا يبالى بغضب الرب أو رضاه!!

هكذا حرص واضعوا العهد القديم على تلطيخ بيت داود وسليمان واظهار بيت النبوة والملك بهذا المظهر المهين وحاشا لأنبياء الله عن مثل هذه الافتراءات.

أما **القرآن الكريم** فيصور سليمان عليه السلام بصورة فريدة تجعل المتتبع لها يوقن أنه أمام إنسان غير عادى آتاه الله من النعم والفضل مالم يؤت أحداً من العالمين، وسوف نحاول الوقوف على بعض تلك النعم التى اختص الله بها نبيه سليمان منها أن الله قد وهبه الذكاء واصابة الحكم منذ صباه يدل على ذلك ما قصه القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى [وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان

وكلا آتينا حكما وعلما][1]. فهذه الآيات تعرض لنا قصة نزاع بين صاحب حرث قيل كرما قد تدلت عنا قيده وبين صاحب غنم أكلت غنمه من هذا الحرث وقد عرض هذا النزاع على نبى الله داود وعنده ولده سليمان فأصدر كل من داود وسليمان حكما مختلفا عن الآخر فى تلك المسألة فحكم داود بأن يأخذ صاحب الحرث غنم الرجل الآخر تعويضاً له عن الحرث الذى أكلته غنمه أما سليمان فقد رأى أن يكون الحكم هو أن يأخذ صاحب الحرث الغنم لينتفع بلبنها على أن يقوم صاحبها بزراعة الحرث مرة أخرى والعناية به حتى يعود إلى حالته الأصلية ثم يسترد غنمه مرة ثانية[2]. لذلك فالله اثنى على حكم سليمان ولم يذم داود، وتوصل سليمان إلى هذا الحكم الذى امتدحه الله سبحانه يدل على ذكاء ودقة فى الحكم وقد اشتهر عنه ذلك حتى لقب بسليمان الحكيم.

ولعل من نعم الله على نبيه سليمان والتى لم يحظ بها بشر سواه أنه علم منطق الطير قال تعالى [وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير][3]. والمنطق والنطق هو كل لفظ يعبر عما فى الضمير، فقد كان نبى الله سليمان قادراً على التخاطب مع الطير ومعرفة ما يريده برغم أنه قد ثبت أن للطيور أصواتاً مختلفة وأن هذه الأصوات تتكيف بتكيف الظروف المختلفة. فالصوت فى حالة الخوف يختلف عنه فى حالة الجوع يختلف عنه فى حالة السعادة وهكذا.

ويحاول البعض التقليل من قيمة تلك النعمة على سليمان فيزعم أن الطيور والحيوانات كانت تنطق مثل البشر أيام سليمان بن داود وهذا القول بلا علم فلو كان الأمر كذلك لما كان لتخصيص سليمان فائدة إذ يصبح فى مقدور كل البشر التخاطب مع الطيور[4]، واستكمالاً لنعمة الله على سليمان فى التخاطب مع

---

(١) سورة الأنبياء- الآيات ٧٨-٧٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٣، ص١٨٦.

(٣) سورة النمل- آية ١٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير جـ٧، ص٣٥٨.

الطيور جعله الله أيضاً قادرا على التخاطب مع الحيوانات ومعرفة لغتهـــا يدلنـــا على ذلك ما ذكره القرآن الكريم من قصة سليمان مع النملة فى قوله تعالى [حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلـــوا مســـاكنكم لا يحطمنكـــم سليمان وجنوده وهم لايشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنـــى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلنـــى برحمتك فى عبادك الصالحين][١]. كذلك فإن من النعم التى امتن الله بهـــا علـــى عبده سليمان تسخير الرياح له يصرفها كيف يشاء والى أين شـــاء قـــال تعـــالى [ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين][٢]، ويقـــول تعالى [ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحهـــا شـــهر][٣]، ويقول تعالى [فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب][٤]. فقـــد ســـخر الله الريح لسليمان تحمله إلى أين شاء ويبين سبحانه أن هذه الريح كانت تستغرق فى رحلتها شهراً فى الذهاب وشهراً فى العودة.

ولقد سخر الله لسليمان الشياطين والجن وقبضهم لتنفيذ أوامر سليمان عليه السلام قال تعالى [وحشـــر لسليمان جنوده من الجـــن والإنـــس والطـــير فهـــم يوزعون][٥]، وقال تعالى [ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات][٦]، ويقول سبحانه [ومن الشياطين من يغوصـــون لـــه ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين][٧]، ويقول سبحانه [والشـــياطين كـــل

(١) سورة النمل- الآيات ١٨-١٩.
(٢) سورة الأنبياء- آية ٨١.
(٣) سورة سبأ- آية ١٢.
(٤) سورة ص- آية ٣٦.
(٥) سورة النمل -اية ١٧.
(٦) سورة سبأ- الآيات ١٢-١٣.
(٧) سورة الأنبياء- آية ٨٢.

بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد][1]. فهذه الآيات توضح أن اللـــه قــد سخر لسليمان الجن يعملون له فى أى مجال فهم جنوده فى جيشه يطيعون أوامره وينفذون ما يريد وهم يعملون له الأبنية العظيمة الضخمة مثل القصور والمساجد وهم يعملون كذلك التماثيل والأحواض والقدور الثابتات فى أماكنها لا تتحرك ولا تتحول كذلك فإن الشياطين يستخرجون اللآلئ والجواهر مـــن أعمـــاق البحـــار وغيرها من الأعمال التى يصعب على الإنسان القيام بها.

ويستمر القرآن الكريم فى عرض نعم الله على ســليمان فيذكــر المولــى سبحانه وتعالى أنه أسال غير القطر لسليمان، والقطر هو النحاس المـــذاب قـــال تعالى [وأسلنا له عين القطر][2]، وقد استخدم سليمان هذا النحاس المــــذاب فـــى تشييد المبانى العظيمة الفخمة حيث يوضع بين الأحجار فيجعلها شديدة التماسك.

ويقر سليمان بنعم الله هذه وبما فضله الله به على من سواه فيقـــول اللـــه تعالى على لسانه [وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين][3]. فهو يقر أن الله قد أتاه من كل شئ يحتاج إليه الملك ولذلك فقد وجب عليه حمــد الله وشكره فى مقابل تلك النعم العظيمة وأن له الشكر الذى يوفـــى حـــق اللـــه سبحانه لذا فهو يطالب العون من الله كى يشكره قال تعالى على لسان ســـليمان [قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والـــدى وأن أعمـــل صالحاً ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين][4]، ولقد أثنى الله سبحانه على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل يقول ســـبحانه [ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب][5]، ومن أجل ذلك فقد استحق رضـــاء

(١) سورة ص- الآيات ٣٧-٣٨.
(٢) سورة سبأ- آية ١٢.
(٣) سورة النمل- آية ١٥.
(٤) سورة النمل- اية ١٩.
(٥) سورة ص- آية ٣٠.

الله عنه فى الدنيا والآخرة فبين أنه ذو حظ عظيم عند الله فى الدنيا بما أنعم الله عليه من نعمة الملك والذى لم يعط لأحد من العالمين وفى الآخرة بالجزاء الحسن قال تعالى [وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب](١).

وهكذا يقدم لنا القرآن الكريم صورة عن نبى الله سليمان فى عبارات صادقة وألفاظ عفيفة طاهرة تدحض كل مفتريات كتاب أسفار العهد القديم الذين لم يكتفوا بتشويه سيرته كرسول بل جعلوه يترك عبادة ربه الواحد الخالق الذى شرفه بالنبوة والرسالة واختصه بالعديد من نعمه العظمى إلى عبادة الأصنام والأوثان إرضاء لزوجاته الكافرات، وهنا يتصدى المولى سبحانه لهذه الافتراءات وينفى عن نبيه تلك التهمة الظالمة التى خلعها عليه كتاب العهد القديم فيقول سبحانه وهو أصدق القائلين [اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا](٢). فالله تعالى يبرئ نبيه سليمان عن الكفر مبيناً أن الذين كفروا هم بنو إسرائيل الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ووضعوا بدلاً منه كتابا مليئاً بالزيف والباطل على رسل الله جميعاً ولكن الحق يأبى إلا أن يظهر دينه ويحفظ قرآنه ليرد إلى أنبياء الله حقهم فهم الأسوة الحسنة للبشر فى كل زمان ومكان.

هذا وقد وردت فى حق سليمان عليه السلام بعض الشبهات التى تقدح فى عصمته نذكر منها ما يلى:

<u>الشبهة الأولى</u>: قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام [إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحاً بالسوق والأعناق](٣). قالوا إنه اشتغل

---

(١) سور ص- آية ٤٠.
(٢) سورة البقرة- آية ١٠٢.
(٣) سورة ص - الآيات ٣١-٣٣.

بالخيل حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له وقت العشـــي فاغتم لذلك واسترد الأفراس فعقرها.

والجواب: أن سليمان عليه السلام أمر باحضار الخيل وفحصها ثـم ذكـر عليه السلام أنه لايحب الخيل لأمر الدنيا ولا لهوى النفس ولكنه يحبها لأمر الله تعالى بذلك ولتقوية دينه بالدفاع عنه وهو المراد من قوله (عن ذكـر ربـي) أي أحببتها لأمر ربي اياي بذلك.

فسليمان ظل يستعرض الخيل حتى توارت عن ناظريه فلما توارت عنـه قال أعيدوها على ثانية فأعادوها له عليه السلام، فـأخذ يمسـح علـى سـوقها ورؤوسها بيده برا بها وإكراما لها. هذا هو ظاهر الآية وليس فيه اشارة إلى ترك الصلاة وقتل الخيل(١).

<u>الشبهة الثانية</u>: قول الله تعالى عن سليمان عليـه السـلام [ولقـد فتنـا سليمان](٢). فهذا يدل على وقوع المعصية.

والجواب عن ذلك: أن معنى قوله تعالى (فتنا سليمان) أي أتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته كما قال تعالى [أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين](٣). فهذه الفتنة هي الاختبار حتى يظهر المهتدى من الضال فهذه فتنة اللـه تعـالى لسليمان إنما هي اختباره حتى ظهر فضله فقط(٤).

من هذا العرض السابق لقصص الأنبياء في العهد القديم والقرآن الكريـم يتبين لنا مدى الفرق الجوهري بين تناول كتاب أسفار العهد القديم لسيرة الأنبياء

(١) مفاتيح الغيـب، للامام الرازي، جـ٧ ص ١٩٣، قصص الأنبيـاء، عبـد الوهـاب النجار، ص٣٢٢، ص٣٢٣، الفصل، جـ٤ ص١٦.
(٢) سورة ص- آية ٣٤.
(٣) سورة العنكبوت - اية ٢.
(٤) الفصل، لابن حزم جـ٤، ص١٥.

وبين تناول القرآن الكريم لهم. فهذه الأسفار تنسب لبعض الأنبياء أو لبعض من تسميهم آباء لبنى إسرائيل أو ملوكاً لدولهم أعمالاً قبيحة تتنافى مع وضعهم الديني والاجتماعي بل وتتعارض مع الخلق الكريم في ذاته فبنو إسرائيل لم يراعوا عند الحديث عن أنبيائهم إلا ولا ذمة، ولم يبدوا في حديثهم أي تقديس لهم أو إجلال، فنسبوا إلى هؤلاء الأنبياء ولأسرهم ما يدنس تاريخهم وما ينبو عن الذوق، فقد جعلوا سيرة أنبيائهم ترتبط دائماً بالخطيئة والمعصية وقد كاد كاتبو هذه الأسفار أن يلصقوها بكل أنبياء العهد القديم فمن ذلك ما نسبه كتاب العهد القديم إلى نبى الله إبراهيم من حدوث المعصية منه لادعائه الكذب لينال من وراء ذلك خير كثير، فضلاً عن إلحاق جريمة الزنا بكثير من الأنبياء مثل لوط وداود وإظهار النبى سليمان بصورة خيالية جداً حيث يتزوج بعدد كبير من النساء وليس هذا فقط بل يعبد آلهتهن ويترك عبادة الله الواحد الذى أرسله نبياً للناس هذا وغيره مما ألحقه كتاب أسفار العهد القديم لأنبياء الله لايمكن أن يكون شاهدا للتعرف على رسل الله وأنبيائه، فضلاً على أنه لايليق بهم كرجال ويتنافى وعصمة النبوة وعمل الرسالة الإلهية التى تعصمهم عن الوقوع فى جملة المآثم والأخطاء.

أماحديث القرآن الكريم فقدأفاض خبراً مستفيضاًعن أنبياء الله عليهم السلام يمتلئ بالدرس والعظة فضلاً عن تناوله بالتطهير والتكريم لسيرتهم العطرة، وما تحملوه ولقوه فى سبيل دعوتهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، فصورهم القرآن الكريم فى صورة طيبة كريمة تليق بأمثالهم، وبعظمة رسالتهم الإلهية وفى صورة من الطهر والنقاء على ضوء اختيار الله لهم بحكم أنهم الصفوة المختارة من بين خلق الله تعالى ليكونوا هداية ورحمة للعاملين والقرآن الكريم حين يقص علينا قصص الأنبياء إنما يذكرها على الأخص للعظة والذكرى وبيان التعاليم الإلهية التى حملها هؤلاء الأنبياء للناس، وكان الأنبياء فى ذلك أعظم قدوة للناس جميعاً ليس كما يذكرها كتاب العهد القديم لغرض تاريخى محرف ومسرحاً

لدروب المعصية والمآثم والمفاسد فأنبياء الله ورسله على ضـــوء خـــبر الذكـــر الحكيم فى الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أبعد ما يكونون عنها حاشا لله وحاشا لأنبياء الله عليهم جميعاً أفضل الصلوات والسلام.

خاتمـــــــــة

يعتبر اليهود أسفار العهد القديم هو كتابهم المقدس ويؤمنون به ويزعمـــون أنه أنزل على موسى عليه السلام.

بينما وضح القرآن الكريم أن اليهود قاموا بالتحريف والتبديل في كتـــابهم المقدس (التوراة) التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وعلـــى ذلـك فالنسخة الأصلية الصحيحة ليست بأيديهم الآن.

نسب كتاب العهد القديم لأنبياء الله عليهم السلام أعمالاً قبيحة تتنافى مـــع العصمة، وتتعارض مع عظمة رسالاتهم الإلهية مما يدل على خبث وسوء طوية كتاب العهد القديم وجحودهم لما ينبغي أن تكون عليه أخلاق وسلوك وقيـــم مـــن يشرفه الله تعالى بالنبوة وكمالها.

فقد جوزوا على أنبيائهم الكذب والخيانة، وجوزوا عليهم ارتكاب الكبـــائر وفعل الفواحش، وجلعوا سيرة أنبيائهم ترتبط دائماً بالخطيئة والمعصية.

ومن ذلك ما نسبه كتاب العهد القديم لنبي الله نوح عليه السلام مـــن أنـــه سكر حتى ذهب عقله، كذلك افتراء العهد القديم على نبي الله إبراهيم عليه السلام من حدوث المعصية منه لادعائه الكذب لينال من وراء ذلك خيراً كثيراً، فضـــلاً عن إلحاق جريمة الزنا بكثير من الأنبياء مثل لوط وداود عليهما السلام، واظهار النبي سليمان في صورة خيالية جداً يتزوج بألف إمرأة، وليس هذا فقط بل يعبـــد آلهتهن ويترك عبادة الله الواحد الذي أرسله بدين الحق للناس.

وهذا الذي جاء في كتب العهد القديم عن أنبياء الله عليهـــم الســـلام مـــن الوقوع في المعصية وارتكاب الكبائر وفعل الفواحش لأكبر دليل على تحريـــف هذه الكتب وتزويرها، فهي أمور تأباها النفوس الكريمة وتشمئز منهـــا العقـــول

السليمة فضلاً عن أن يكون ذلك من نبى معصوم ورسول اختاره اللـــــه تعـــالى وفضله على كثير من خلقه.

أما القرآن الكريم فقد تحدث عن سيرة أنبياء الله عليهم السلام فصورهـــم فى صورة كريمة مشرقة مضيئة تليق بمكانتهم العظيمة وبرسالتهم السامية، فهم صفوة خلق الله اختارهم الله من بين عباده ممـــن ســـلمت فطرتهـــم وطهـــرت أرواحهم، وسمت نفوسهم، وجعلهم رسلاً يهدون الناس إلى الحق ويرشدونهم إلى سبل السعادة.

فقد وضع الإسلام أنبياء الله ورسله عليهم السلام فى موضعهـــم اللائـــق بعظمة رسالتهم وكمالها، وعرض لسيرتهم بما يتفق مع عصمتهم وسلامة قلوبهم ونقاء سيرتهم، وبرأهم من كل التهم التى ألصقها اليهود بهم.

ومن خلال هذين المنهجين: منهج العهد القديم وافتراءاته على أنبياء اللـــه عليهم السلام، ومنهج القرآن الكريم وبيانه المشرق ولغته الطاهرة النقيـــة عـــن سيرتهم العطرة تبين الفرق الجوهرى بين تناول كتاب العهد القديم لسيرة الأنبياء بمالايتفق بهم كرجال كرام. فضلاً عما يتنافى وعصمة النبوة وعمـــل الرســـالة الإلهية التى تعصمهم من الوقوع فى جملة المآثم والموبقات التى خلعهـــا كتـــاب العهد القديم عليهم، وبين تناول القرآن الكريم لســـيرة الأنبيـــاء عليهـــم الســـلام وعصمة النص القرآنى وطهارته وسمو تناوله وهو يعرض لسيرة أنبيـــاء اللـــه ورسله بما يتفق مع عظمة رسالتهم ويتفق مع الأمر بالإقتداء بهم عليهم السلام.

هذا هو الفارق بين كتاب من وضع البشر، مليئ بالافتراءات والأكـــاذيب على أنبياء الله، وهو كتاب العهد القديم، وبين كتاب هو تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، صادق فى أخباره عن أنبياء الله، ينزههم عن كل النقائص البشرية التى نهى الله عنها، وهو القرآن الكريم.

المراجـــــع

١ - القرآن الكريم.

٢ - التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى- دار الفكر- ط١٩٧٨م.

٣ - روح المعانى للعلامة الألوسى- دار إحياء الــتراث العربـــى- بــيروت- لبنان.

٤ - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير- دار إحياء الكتب العربية- عيســـى البابى.

٥ - فى ظلال القرآن- سيد قطب- دار الشروق ١٩٣٦هـ-١٩٧٦م.

٦ - تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين القرطبـــى- دار الغد العربى- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٧ - فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى- المطبعة السنية.

٨ - الأسفار المقدسة- د. على عبد الواحد وافى نهضة مصر للطباعة والنشر- ١٩٨٤م.

٩- إظهار الحق- الشيخ رحمة الله الهندى- تحقيق د. أحمد حجازى الســقا- دار التراث العربى.

١٠- بحوث فىمقارنة الأديان-د.محمدعبدالله الشـــرقاوى-دار الفكرالعربـــى- ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١١- مقارنة الأديان -ليهودية- د. أحمد شلبى- مكتبة النهضة المصريــــة- ط ١٩٧٨م.

١٢- علاقة الإسلام باليهودية- د. محمد خليفة حســـن- دار الثقافـــة للنشـــر- ط١٩٨٦م.

١٣- السيف الصقيل- للشيخ أبى بكر عمر التميمى الدارى- المحروسة بمصر ١٣١٣هـ.

١٤- التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى-د. صبرى جرجس.
١٥- الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم- مكتبة ومطبعة صبيح وأولاده.
١٦- مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام-د. عوض الله حجازى- دار الطباعة المحمدية ط١٩٨١م.
١٧- تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم- الأستاذ محمد عزه دروزه.
١٨- التراث الإسرائيلىفىالعهد القديم وموقف القرآن الكريم منه- د. صابر طعيمه- دار الجبل.
١٩- قصة الحضارة ول ديورانت- ترجمة محمد بدران- لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٢٠- الوحى المحمدى- محمد رشيد رضا.
٢١- المصباح المنير.
٢٢- المعجم الوسيط.
٢٣- لوامع الأنوار البهية- السفارينى.
٢٤- رسالة التوحيد- الإمام محمد عبده.
٢٥- فى رحاب الأنبياء والرسل- د. عبد الحليم محمود.
٢٦- قصص الأنبياء- د. عبدالوهاب النجار- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١٩٨٦م.
٢٧- شرح المقاصد- سعد الدين التفتازانى- عالم الكتب ١٩٩٨م.
٢٨- المواقف- لعضد الدين الإيجى، مكتبة المتنبى.
٢٩- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، مكتبة السلام العالمية.

المحتويات

رقم الايداع بدار الكتب

٢٠٠١/٣١٧٢

بتاريخ : ٢٠٠١/١/٢١

الترقيم الدولى: I.S.B.N

977-298-187-4

الناشر: مصر للخدمات العلمية

القاهرة- ٧٣ أ شارع مصر والسودان- حدائق القبة